

14A

الطبيعية

في

الشعر الاندلسي

جميلة شحادة الخوري

وهي رسالة قدّمت الى كلية

الاداب في جامعة بيروت الاميركية

لنيل

شهادة استاذ في المعلم

الجامعة الاميركية

بيروت

١٩٤٦

مقدمة البحث

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس . ولقد تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وبشيء من الإيجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه ، والعوامل التي ساعدت على ذلك . كما انني وجدت نفسي مضطرة لكي يجيء البحث مستوفى الشروط ان اتناول حالة الاندلس الاجتماعية وما كانت عليه عندما فتحتها العرب مما كان له الاثر الفعال في نفوس الشعراء وتلوين شعرهم بلون خاص .

ولن يجد القارئ بحثا مستفيضا تام الاجزاء في شعر الطبيعة رغم تخصص الرسالة في الموضوع وذلك عائد لفقدان المصادر الكثيرة وعدم توفرها في هذه الاوقات امام الباحثين في الاندلس وآدابها . زد على ذلك ان دراسة الطبيعة الاندلسية في مظاهرها الخارجية وما اوحته للشعراء من جميل الشعر وتصور الانطباعات التي انطبع بها الشعراء كنتيجة للانعكاسات الجمالية التي انعكست على نفوسهم كل ذلك يحتاج الى درس مستفيض عميق يتطلب اكثر مما هو مطلوب من رسالة كهذه الرسالة .

ولقد آثرت بعد ان انعكست طويلا على مطالعة الشعر الاندلسي وقراءته قراءة دقيقة وغريبتة ان اجسم منه نماذج مختلفة تمثل مختلف الشعراء الوصفيين المعروفين في الاندلس فجاءت الرسالة مرجعا سهلا جامعا مبويا لهذا اللون من الشعر العربي في الاندلس واعتقد ان على ذلك تقوم اهمية البحث الذي اضعه بين يدي القراء وارجوه بحثا موفقا —

فهرست الرسالة

الفصل الاول (١ - ١٥)

١ من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

١ - فذلکة تاريخية

٦ ٢ - من زوايا المجتمع الاندلسي

الفصل الثاني (١٦ - ١٠٤)

١٦ الطبيعة في الشعر الاندلسي

١٦ ١ - نظرة عامة في الشعر الاندلسي

١٨ ٢ - شعر الطبيعة

٢٠ ١ - الخضراء

٢٨ ، ٢٠ ١ - الرياض والحدائق : الورد والرياحين

٤٩ غراس الفاكهة وسواها

٦٢ المنتزهات

٧٠ ب - الماء : الجداول والغدران ، البحيرات والبحار
الاحواض والنواعير

٨٧ ج - الجبال والوديان

٩٤ د - الطير والحيوان والسموم

١٠٢ خاتمة

المصادر

I
المصادر : (مرتبة حسب عني الوفاة)

- ١ - الضبي : احمد بن يحيى بن عتبة سنة ١٧٠ هـ " بغية المتوسمين في تاريخ رجال الاندلس " مدريد سنة ١٨٨٤ م
- ٢ - اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكتاب العباسي سنة ٢٧٨ هـ " تاريخ اليعقوبي " برل سنة ١٨٨٢ م
- ٣ - الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري سنة ٣١٠ هـ " كتاب اخبار الرسل والملوك " طبع مصر ١٩٠٦ م
- ٤ - ابن عبد ربه : احمد بن محمد سنة ٣٢٨ هـ " العقد الفريد " المطبعة الايبيرية مصر سنة ١٢٩٣
- ٥ - المسعودي : علي بن الحسين بن علي سنة ٣٤٦ هـ " مروج الذهب ومعادن الجواهر " باريس سنة ١٨٨١ م
- ٦ - ابن حوقل : ابو القاسم ابن حوقل النصيب سنة ٣٥٦ هـ " كتاب صورة الارض " مطبعة برل لين سنة ١٩٣٨ م
- ٧ - القاسي : ابو علي سنة ٣٥٦ هـ " كتاب الاطالي " دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ م
- ٨ - ابن هانسي : ابو القاسم محمد بن هاني الازدي سنة ٣٦٢ هـ " ديوان ابن هاني الاندلسي " بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ م
- ٩ - المقدسي : ابو عبد الله محمد بن البشاري سنة ٣٧٥ هـ " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " سنة ١٩٠٦
- ١٠ - ابن التديس : محمد ابن الحق الوراق سنة ٣٨٥ هـ " الفهرست " ليزيك سنة ١٨٧١ م
- ١١ - ابن الغرضي : ابو الوليد عبد الله بن محمد بن الاسفلازدي سنة ٤٠٣ هـ " تاريخ علماء الاندلس " مدريد سنة ١٨٩٢ م
- ١٢ - الثعالبي : ابو منصور عبد الله بن محمد اسماعيل سنة ٤٢٩ هـ " بتيمة الدهر في محاسن اهل العصر " دمشق سنة ١٣٠٤ هـ
- ١٣ - ابن حزم : ابو محمد بن حزم الاندلسي سنة ٤٥٦ هـ " طرق الحمامة في الالف والالاف " مكتبة هرة دمشق

- ١٤ - ابن صاعد : القاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي سنة ٤٦٢ هـ
 " كتاب طبقات الامم " بيروت ١٩١٢ م
- ١٥ - ابن زيدون : ابوالوليد احمد بن عبد الله سنة ٤٦٣ هـ " الديوان " مطبعة
 مصطفى البابي الحلبي طبعة اولى مصر سنة ١٣٥١ هـ
- ١٦ - ابن حيان : ابن مروان حيان بن خلف سنة ٤٦٩ هـ " المقتبس في تاريخ رجال
 الاندلس " باريس ١٩٣٧
- ١٧ - ابن حديد : ابو محمد عبد الجبار سنة ٥٢٧ هـ
 " الديوان " روما سنة ١٨٩٧ م
- ١٨ - ابن خفاجة : ابواسحق ابراهيم ابن خفاجه " الديوان " المطبعة الخاصة
 بجمعية المحارف بمصر سنة ١٢٨٦ هـ
- ١٩ - ابن خاقان : الفتح ابن خاقان الوزير الكاتب سنة ٥٣٥ هـ
- ٢٠ - ثلاثه المتيان
- ب - مطح الانفس ومصرح التانسي في ملح اهل الاندلس
 مطبعة الحوائب استنبول سنة ١٣٠٢ هـ
- ج - تاريخ الدولة المهادية في الاندلس " نشر دوزي
- ٢٠ - ابن بسام : ابوالحسن علي بن بسام الشنقرى سنة ٥٤٢ هـ " الذخيرة في
 محاسن اهل الجزيرة " مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
 القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ٢١ - ابن بشكوال : ابوالقاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي
 الانضلى القرطبي سنة ٥٧٨ هـ " كتاب الصلة " مدريد ١٨٨٣ هـ
- ٢٢ - المراكشي : ابو محمد عبد الواحد سنة ٦٢١ هـ " المعجب في تلخيص
 تاريخ المغرب " مصر سنة ١٩٠٦
- ٢٣ - ياقوت : الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ٦٢٦ هـ
- ٢٤ - ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الملقب بعز
 الدين سنة ٦٣٠ " الكامل في التاريخ " الجزائر سنة ١٩١٠ م

- ٢٥ - ابن السهل : ابراهيم ابن السهل الاسرائيلي سنة ٦٤٩ هـ
(الديوان * المكتبة العربية الطبعة الاولى مصر ١٩٢٦ م)
- ٢٦ - ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الايلي سنة ٦٨١ هـ
" وفيات الاعيان وابناء الزمان مائتة بالنفل والسمع او اثبتة العيان " دار الطباعة المصرية ١٢٧٥ هـ
- ٢٧ - الفهرست : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب سنة ٧٢٢ هـ * نهاية الارب في فنون الادب و مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ
- ٢٨ - ابو القدا : السلطان الملك المؤيد اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور محمد بن المظفر نقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه بن نجم الدين ايوب سنة ٧٢٢ هـ * المختصر في اخبار البشر " طبعة اولى المطبعة الحسينية مصر
- ٢٩ - ابن فضل الله العمري : سنة ٧٤٨ هـ * مسالك الابصار في مالكة الاثمار " مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٢ هـ
- ٣٠ - ابن شاكر : محمد بن شاكر سنة ٧٦٤ هـ * سنوات الوفيات مصر ١٢٩٩ هـ
- ٣١ - ابن الخطيب : الزهر لسان الدين ابن الخطيب سنة ٧٧٦ هـ * الاحاطة في اخبار قرناطة " مطبعة النوسوط باب الخلق طبعة اولى مصر ١٣١٩ هـ
- ٣٢ - ابن خلدون : عبد الرحمن محمد سنة ٨٠٨ هـ * كليب العبر وديوان المتبر او الخير في ايام العرب والعجم والبربر " مطبعة بولاق مصر ١٢٨٤ هـ
- ٣٣ - التواحي : شمس الدين محمد بن الحسن سنة ٨٥٩ هـ * كتاب حلية الكيخ " المكتبة الحلامية مصر سنة ١٣٥٢ هـ
- ٣٤ - الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الصم سنة ٨٦٦ هـ
صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب " الروض المعطار في خبر الاقطار " نشر لافي بروفنغال مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٢٧ م
- ٣٥ - المقرئ : شهاب الدين احمد بن محمد سنة ١٠٤١ هـ " نفع الطبيب في غصن الاندلس الرطيب ١ - الطبعة المصرية السعيدية المصرية ١٢٧٥ هـ
ب - الطبعة الازهرية مصر ١٣٠٩ هـ
ج - الطبعة الجديدة مطبوعات دار المأمون مطبعة عيسى الباي الحلبي ونكاه مصر سنة ١٩٤٥ م
- ٣٦ - المحبسي : محمد امين بن فضل الله ١١١١ هـ * خلاصة الاثر في اعيان العبادي عشر " القاهرة المطبعة المصرية السعيدية المصرية سنة ١٢٨٤ هـ

المراجع

- ١ - امير علي سيد " مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي " نقله الى العربية رياض رافت
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨
- ٢ - الاسكندري احمد ، رضائي مصطفى : " الوسيط في الادب العربي وتاريخه " مطبعة المعارف
ومكتبتها مصر سنة ١٩٤١ م
- ٣ - البرقوقي عبد الرحمن : " حضارة العرب في الاندلس " مصر المكتبة التجارية سنة ١٩٢٣ م
- ٤ - البستاني بطرس : ادباء العرب في الاندلس ومصر الانبعاث " طبعة ثانية مكتبة صادر
بيروت ١٩٤٤ م
- ٥ - زيدان جورجى : " كتاب تاريخ آداب اللغة العربية " مطبعة الهلال بالقاهرة مصر ١٩١٢
- ٦ - ضيف الدكتور شوقي " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعة اولى القاهرة سنة ١٩٢٤ م
- ٧ - كرد علي محمد " الاسلام والحضارة العربية " دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٤
- ٨ - الكيلاني كامل : نظرات في آلا الادب الاندلسي " مطبعة المكتبة التجارية مصر ١٩٢٤ م
- ٩ - النصولي : انيس زكريا " الدولة الاموية في قرطبة " بغداد ١٩٦٦ م
- ١٠ - نوفل سيد " للشعر الطليعة في الادب العربي " مطبعة مصر القاهرة ١٩٤٥ م

- | | |
|--|-----|
| Hitti Philip : "History of the Arabs " | 1 1 |
| Macmillan & Co. Ltd. St. Martin Street,
London 1937 | |
| Nicholson Reynold : " A Literary History of the Arabs " | 12 |
| Cambridge at the University Press 1930 | |
| Peres Henry: "La poesie Andalouse En Arab Classique au
XI Siecle. Librairie d'Amérique et d'Orient
Paris 1937. | 13 |

الفصل الاول من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

لمحة تاريخية عن الاندلس

ليس الغرض من هذا الفصل ان نؤرخ حياة العرب في الاندلس فنذكر كيف تم الفتح بالتفصيل بعد ان تقدم لذلك بالمقدوات التمهيدية ونستنتج ما يمكن من الاستنتاجات التاريخية كما يفعل المؤرخون . كلا ليس غرضي شيئا من ذلك ، ان هي الا لمحة سريعة خاطفة من وصول العرب الى الاندلس نقف فيها عند بعض المظاهر التي نعتقد انها كانت جديدة على الغزاة الفاتحين فائرت في اديانهم وعلومهم وثقافتهم . ^{وَقَفَا فَا} ^م

استطاع العرب ^{قوى} بعدة وجيزة من الزمن لم تتجاوز العقدين من السنين من تدويع اعظم قوتهم ذلك العصر ^{ونظني} تعنى بها الامبراطوريتين الفارسية في الشرق والهنديّة في الغرب ، وهكذا بعد ان كانوا حنفة من الرجال يكونون برمال الصحراء وحرارتها وشوون بلبسها المحرق تملقهم حرارة الشمس الفتاجة في النهار وقرص اجسامهم البارد القارس في الليل اصبحوا في هذه المدة الوجيزة امة عظيمة العدد قوية الشكبة يهرب جانبها الاكاسرة ويخشاها القياصرة ، واصبحت سوريا للكبرى مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى كلها من ولايات الامبراطورية الجديدة .
وكاني بهولاً الغزاة الابطال ، وقد دوخوا قوى الشرق والغرب فوصلوا الجزيرة العربية باطراف افريقية من ناحية واطراف الهند من ناحية اخرى قد جنموا على الشاطئ الانريتي وقد اخذتهم نشوة النصر والفتوحات ، فراحوا ينظرون الى الشاطئ الاوربي الذي لا يفصله عنهم الا شقة ضيقة من الماء محدثين انفسهم بغزوه موطنين العزم الاكيد على تدويعه واعادة تشييل الدور الذي مثله قبلا مع الفرس والرومان .

وتحققت احلامهم ونالوا واصلت اليه قلوبهم ، وتم الفتح على ايدي موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولا عجب في ذلك فقد كانت اسبانيا الجميلة ذات الطبيعة الحلوة الجذابة قبل الفتح العربي مشهورة القوى في حالة اضطراب وفوضى ، تترج تحت نير القوط الفاسيين (١٠) الشديد الوطأة وتتنازعها الثورات والفتن وتتاكلها الاحزاب والفرق ، فتتفخ فيها سموم التفرقة والخذلان ، فيها شعبها يئن من صف الارستقراطية ومثالم من الاضطهاد وجور الطبيعة الحاكمة ، فاستبد ملوكهم وزادوا الضرائب على الشعب المسكين وقسوا البلاد بين رجال الدين والاشراف .

وهناك العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون كحيوان من الحيوانات او متاع من المتعة البيت ، وكانوا كثيرى العدد بالنسبة الى الاحرار يعاملون بلا شفقة ولا رحمة تلعب السياط بابدانهم وتزهق ارواحهم ظلقات السجون ، ولذا كانوا يهربون الى الاحراج ويقيمون في الاودية يسطون على املك اسيادهم من وقت الى آخر يسلبون السابلة ويقطعون الطريق وكان الى جانب المتاعين من الشعب الاسباني اليهود ، الذين كانوا يعانون اقصى انواع العذاب والاضطهاد من جور الطبقة الحاكمة والكهنة والاعيان .

هذه كانت حالة الشعب الاسباني حشية الفتح الاسلامي (١) . وفي ساعسة الفزع السمر اشرق عليهم قبح الحرية من جهة لم تكن بالحسبان فلم يكن من الغريب اذا ان يمتكك الاسبان به ، وينظروا الى العرب كخلصهم من العبودية والاضطهاد ، وخصوصا لما عرف من العرب من التساهل والتسامح وما رآه ولمسه الاسبان انفسهم في افريقيا عندما كانوا يلجأون اليها من ظلم حكامهم وجورهم (٢) .

ولعده الاسباب لم يلق طارق بن زياد وجيوشه مقاومة تذكر عندما التقوا بالذريق القوطي وجنده فهزموهم شر هزيمة بالقرب من قادس (٣) ، ففتحوا اسبانيا وظلوا يتوغلون فيها حتى بلغوا بعد احدى وعشرين سنة من غزوها قلب افرنسا عند مدينتي (تور) (هواتية) (٤) ^{نقطة}

هذا الانتصار المبين لم يكلل لتلك البلاد الطمأنينة والسلام كما كان ينتظر وانما ظلت بلاد الاندلس عالة اموية يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالي نسي القيروان اخرى مدة ٤٦ عاما تولى فيها الامارة عشرون عاملا (٢٠) في فتح وجهاد ، وقتال ونضال ، واضطرام ثورات وقتن (٥) . ذلك ان هذا المجتمع الجديد الذي جمع الاسلام شمله مزج عناصر مختلفة النزعات ، متطابقة الاهواء ، فلقد وصل اليه العرب عقب الفتح من مختلف القبائل من عدنانية وقطانية وبنية وضرية وقبائل مختلفة من مصر والعراق والشام كما سبقتهم الى البلاد الجديدة عصبيتهم القبلية وفيرتهم وحسدهم المتاصل في نفوسهم فعملت كل قبيلة

(١) History of the Arabs - Hitti, P:498-99

النصولي - الدولة الاموية في قرطبة النصولي من Dozy, Coppe, Milwan, Scott,

(٢) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي P: 5-12

(٣) ابن خلدون المجلد الرابع ص ١١٢ القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص ١٣٥

(٤) Hitti History of the Arabs P.500

(٥) القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص (١١-١٢) (١٢٢-١٤٥) ابن خلدون م ٤٠ ص ١١٨-١١٩

للقضاء على الاخرى لتستأثر بالملك والسلطان (١) . وما زاد الامر خطورة تفاقم القادة والروسا وتنافسهم وتناحرهم ذلك التناحر الذي اخذ يحرق الصفوف ويشقت الشمل (٢) . كما ان رجال قبائل البربر الذين يتالف منهم معظم الجيش قد اخذوا يشعرون بهوطة الارستقراطية العربية واستئثار العرب بالسلطة والمغانم مع انهم هم اصحاب الحق في ذلك ، فنقموا على قوادهم العرب وابغضوهم ، وتالبوا عليهم وكانوا يتحينون الفرص للانقياع بهم والقضاء عليهم . ولذلك ما كاد العرب يستقرون في بلادهم الجديدة حتى فاجأتهم الثورة البربر التي امتد لميها اليهم من شمالي افريقيا فانضت مضاجعهم وحرمتهم الراحة والطمانينة غير انهم ما لبثوا ان قضوا عليها بيد من حديد (٣) . وما كانت نيران البربر لتخمد الا لتبعث العدوات القديمة المستحكمة بين القبائل والبطون العربية التي كانت دائما على تمام استعداد لاثارة القلاقل والفتن ، وكان هنالك علاوة على هذه العناصر المتطاحنة عناصر اخرى زادت الامر خطورة هي القوط وغيرهم من مسيحيين ويهود (٤) .

غير انه يجب ان لا نخط الفتح حسناته فمع ان العرب شغلوا في بادى الامر بتوطيد الفتح الجديد وتوسيع حدوده واستظاموا في احوام قلائل ان يقيموا عناصر الشر والفساد التي كانت مستولية على البلاد وان ينظموا ادارة البلاد المفتوحة ، فقد قضى الفتح على الطبقات المتنازعة ، فتنفس الشعب العظم الصعداء ، نعم لقد نرض الحرب الضرائب ولكن بالعدل والمساواة واستطاع الناس ان يؤمنوا على حرياتهم وحياتهم تاما لهم (٥) . اما من الناحية الدينية فقد اظهر العرب تسامحا كبيرا فقد تركوا للاسبان حق الاختيار ، اما البقاء على دينهم ودفع الجزية واما اعتناق الاسلام فتسقط عنهم الجزية فيصبحون والمسلم سوا بسوا في الحقوق والواجبات (٦) .

وبينما القلاقل والثورات تسود هذا المجتمع العربي الجديد في هذه الدنيا الجديدة كان الشرق العربي يتخبط في حالة من الفوضى والحروب الداخلية لا تقل عما كانت عليه في الغرب ، فقد غلب الامويون على امهم وقامت على انقاضهم دولة العباسيين الفتية التي اخذت على عاتقها اباداة الامويين عن بكرة ابيهم ولكن تاي الاقدار الا لتكتب النجاة لشاب

Hitt1 501 - 503

(١) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ص ٢٦٣-٢٦٨

(٢) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ١٢٢-١٢٥ ابن خلدون جزء ٤ ص ١٢٠

Hitt1 502 - 503

(٣) ابن خلدون بالجزء الرابع ص ١١٨ ، ١٢٢

(٤) A literary History of the Arabs, Nicholson P:405 Ch.IX.

(٥) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨ Hitt1 510.

Nicholson. 408

Hitt1 510

(٦)

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره ، اصاب خفيف العارفين ، طويل القامة ، نحيف الجسم بوجهه خال (١) ، هو عهد الرحمن حفيد الخليفة الاموي هشام فينسل هربا من وجهه المباسيين مما وجهه شطر الاندلس فاستطاع بشجاعته وطموحه وثقته بنفسه ان يؤسس دولة اموية عربية سنة ١٢٨ هـ / ٧٥٥ م - ١٠٢٠ م . دون ان يهذل مجهودا حريبا يذكر ساعده على ذلك العداوات المنصرية والفتن المستحكمة بين القبائل (٢) واستمر حكم الامويين الى سنة ٤٢٢ هـ اى مدة ٢٨٤ سنة حكم اثنا عشر خليفة تقطعت فيها الدولة شوطا بعيدا من الرقي والحضارة (٣)

ان قيام الدولة الاموية في الاندلس لم تغر على العداوات والحزازات المضطربة لعمل عهد الرحمن الداخل على التغلب عليها ولكنه اقترف اثما فظيما وهو استخدام الاجانب ووضع قوته فيهم فاستعان بالبربر (٤) وانتصر بهم حتى استقلت اطراف المملكة وقام في كل جهة لهما معتصب من العرب والموالي والبربر واقتسموا القاب الخلافة فيما بينهم فمن مقتدر الى معتضد ومن مستعين الى معتد حتى كثرت الالقاب وتعددت الخلاقات فذهبت بهجتها وزالت روحها وقال فيهم شاعرهم :

ما يزهديني في ارض اندلس تلقيب معتضد فيها ومعتد

القاب ملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتقاها صولة الاسد (٥)

وهؤلاء هم المسمون في تاريخ البلاد بملوك الطوائف فقد حكموا مستقلين كل منهم بتاحية كاهن عباد في اشيلية ، وابن هود بمرقسطة ، وابن الاطلس في بطليوس وذى النون في طليطلة وكان اقوى هؤلاء جميعا العباديون حكام انشيليا وقد كانوا يفاخر كل منهم جواره ويسمى في - الفوق عليه بترقية بلاده واتساع رقعتها وسط نفوذه على مجاوريه بالنزاع المستمر والقتال الدائم ما سهل للعدو طريق الوصول اليهم والتغلب عليهم (٦) فقد الفت اسبانيا المسيحية الفرصة سانحة لاستيلاء مجدها المفقود فاخذت تولب دويلات الطوائف بعضها

(١) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثالث ٨٤ - ٨٥

(٢) المقرئ الجزء الثالث طبعة جديدة ٢١ - ٦٠ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢١ - ١٢٢

(٣) ٢١

(٤) ٨٢ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢٣

(٥) المقرئ فتح الطبیب الجزء الثاني ص ١٤

(٦) ملوك الطوائف دوزين ٦ - ١ نيكولسن ٤١٤

على بعض دون ان يعمل ملوك الطوائف على تجنب الخطر المداهم بل اخذوا يرتمون في احضان الاجانب . وحدث في هذه الاثناء ان ظهرت دولة المرابطين (١) ١٠٥٦ - ١١٤٦ م ٤٤٨ هـ - ٥٤١ هـ من برايرة افريقيا الشمالية فاضموا البلاد لسلطانهم وقضوا على الدولة النصرانية واصبحت دولة الاندلس ولاية افريقية ولكن ما لبثوا ان دب الفساد بين صفوفهم وتقوضت ملكهم لتقوم مكانها دولة الموحدين (٢) التي نشأت بمراكش في اوائل القرن السادس هـ ١١٣٠ - ١٢٦٦ م ٥٢٥ هـ ثم لم يلبث بعض امراء الاندلس ان ثاروا عليهم وردوهم الى بلادهم (٣) وكان في مقدمة هؤلاء الثائرين ابنى هود (٤) وابن الاحمر (٥) وقد ملك ابن هود شرق الاندلس جاعلا مرسطة قاعدة له كما حكم ابن الاحمر غرناطة ولكن الجحالة لم تبقى تبعه هادئة بل نشب قتال ضيف بين ابن هود وابن الاسمر انتهى بهزيمة ابن الاحمر واستيلاء بني هود على غرناطة وبقي حكمهم زهاء القرنين والنصف (٦) .

وفي هذه الاثناء كانت المملكة النصرانية قد نمت واتسع نطاقها واستولت على قواعد الاندلس وشغورها العظيمة كقرطبة وطليطلة واشبيلية ومرسية ولنسية ومرسطة وغيرها كما تقلصت الدولة العربية واجتمعت اشلاؤها بغرناطة التي بقيت محافظة على مركزها والتي سطعت فيها لحة من عظمة الاندلس الذاهبة وحضارتها الزاعجة مدة من الزمن ، غير انها ما لبثت ان انتقلت اليها العدوى الشؤومة ولم يضر وقت بعيد حتى اخذت تغرقها الممارك الداخلية والمنازعات بين الرؤساء ، فاحد ينسب افرادها بعضهم على بعض مهددين الطريق للعدو الراغب المتربص لهم جميعا .

وكان صريح الاندلس خلال احدى هذه الممارك الداخلية وما زالت قصة السلطان ابي الحسن واخيه الزقل ، وابنه عبد الله ابي محمد وانشقاق المملكة الصغيرة في اندق ساعات الخطر الى خطرين والتجاء ابي عبد الله الى ملك النصارى لينصره على ابيه ومنه وانتهاز النصارى هذه الفرصة لايقاء ضربتهم الاخيرة على تلك المملكة التي مهدت لهم سهل الظفر بتمزيق بعضهم البعض . ظم الامة التي لم تعرف معنى للاتحاد (٧)

(١) ابن خلدون الجزء الرابع ١٦٢
Nicholson 430-32 , Hitti 541-546 (٢) ١١٧ - ١٦٦

Nicholson 432-33 Hitti 548-48 (٣) ١٦٨ - ١٦٧

(٤) ١٧٠ - ١٦٦

(٥) ابن خلدون الجزء الرابع ١٧٠ - ١٧١

(٦)

(٧)

لقد كان من نتيجة استيلاء العرب على الاندلس ان تمخضت البلاد عن ثورة اجتماعية هائلة ، فقد ألغيت حقوق الطبقات الممتازة ورفعت الاثقال عن كواهل الشعب المسكين الذي كان يشن من صف الطبقات العليا المؤلفة من النبلاء ورجال الاكليروس ، واستبدلت الضرائب الباهظة بضرائب عادلة تتناسب وحالة الاهلين على مختلف الطبقات ، كما ألغيت القيود التي سحقت التجارة وارهقت الطبقة الوسطى (١) فقد فرضت الجزية على الذميين والخراج على المسلمين والذميين وكانت الجزية زهيدة جدا يستثنى من دفعها الرهبان والنساء والاطفال بوجه عام ، والمقعدون والعمي والمرضى والارقاء بوجه خاص (٢) اما الخراج فكان يرامى في جيبه الحالة الزراعية في ذلك العام (٣) كما انه اعطي لليهود تمام الحرية في التصرف في ممتلكاتهم واقامة شعائهم الدينية وكانوا يعاملون والنصارى والمسلمين سوا بسوا (٤) وهكذا فقد كان من الطبيعي ان تتحسن حالة الطبقة المستعبدة ، فاصبحوا احرارا يستاجرون الارض من اصحابها ويقلعونها ولا حق لاصحابها الا باخذ اربعة اخماس محصولها (٥) كما نرى ان المهاجرين العرب الذين وفدوا الى الاندلس من ممالك زراعية بطبيعتها كصر وسوريا وايران اقبلوا على وطنهم الجديد بهمة ونشاط وشغور عن ساعد الجد للعمل وترقية البلاد وتحسينها وخلقها من جديد بعد ان كانت مشلولة خاملة ايام الملوك السابقين فراوا الارض الواسعة قاحلة مجربة ، فتمهدوها برطبتهم وعلمهم ، لانهم كانوا ملهمين بخواص الزراعة والفلاحة ، بل جعلوا الفلاحة علما قائما بذاته فاستطاعوا ان ينمو المحصولات ويستخرجوا الكنوز ، كما عرفوا ملائمة التربة والطقس لزراعة النباتات المختلفة وهكذا اخصبوا الارض القاحلة وصنوا المدن المهجورة ، وزينوها بالتماثيل الجميلة والحدائق الغناء ، وربطوا بينها بالتجارة ، وشجعوا العلوم والفنون . وهكذا جعلوا من اسبانيا جنة وارفة الظلال تجرى من تحتها الانهار . وامتدت الفتوحات ، واتسع الملك ، واستتب الامن وتدفقت الاموال ، وتبحر العمران ، وعمد الناس الى حياة الترف والترف من مستبعات الحضارة ، اذ تتجه اليه الامم بعد صدور النهضات لتجني ثمرات جهادها وكفاحها الذي بذلته في عهد النهر والكفاح والتمهيد ، وتصبح تواقا الى الاستمتاع بخيرات الحياة في ظل السلام والنظام اللذين تنشرهما الدولة بعد توطيد اركانها ، وفي بحبوحة الثروة والنعمة اللتين تدفقتا على الدولة بعد جهاد السنين والاجيال .

(١) H1TT1 510

(٢) H1TT1 509 - 510

(٣) سيد امير علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨

(٤) ١٨

(٥) ١١

H1TT1 510

ولعل اكثر الام اقبالا على وسائل الترف والتبحر فيه اشدها من قبل خشونة في العيش واصليها واقواها مراسا في الميدان تنازع البقا ، واتمها غلبة وظفرا على البلدان ، بل اكثرها ربحا من اسلاب اعدائها وارزاقهم فلا غرو اذا ان تجنح الى الراحة بعد الجهد والعناء ، وان تغالي في الاستمتاع بعد الصد والحرمان . فلا عجب اذا ان تصل اسبانيا الى ذروة سامية في حياتها الاجتماعية بعد ان اصبحت ميزانيتها على زمن الناصر خمسة آلاف دينار واربعمئة الف وثمانين الف دينار هذه من الجباية فقط ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف دينار وخمسة وستون الف دينار (١)

وهكذا نرى ان العرب احدثوا تطورا هائلا في حياة البلاد الاجتماعية ، فقد وجد اهل البلاد في الفتح يسرا وراحة لم يعهدوها من قبل ظهرت في مظاهر مختلفة من تنظيم للعيش ورفع مستواه ، الى مسكن ومأكل ومشرب ولهو وغنا ، الخ تركت جميعها اثرا واضحا في الادب الاندلسي . ولعل الناحية العمرانية من هذه النواحي الاجتماعية المختلفة هي التي تهمني بصورة خاصة ، لان بحثي يقوم في جوهره على الشعر الطبيعي الاندلسي والمطلع على التاريخ الاندلسي يرى العلاقة الوثيقة القائمة بين العمران ووصف الطبيعة في الشعر الاندلسي . فقد نظم الشعراء جل شعرهم في هذه المباني الضخمة والقصور الباذخة وما حوته من رباغ وبياتين وبحيرات ونواجر . لذلك اراني مضطرا لان اتوسع في بسط هذه الناحية التي تركت اثرا بارزا في الشعر الاندلسي .

لقد اهتم الامراء والخلفاء والولاة وروسا الدولة بالناحية العمرانية فوسعوا المدن ، وبنوا المباني العظيمة والمساجد البديعة ، وشادوا القصور الفخمة ، وحاكوا بها في الجلال والعظمة قصور المشرق ، وقد تفتنوا في هذه الابنية وهزلوا الاموال الطائلة في سبيلها ، حتى ان عهد الرحمن الناصر خصص ثلث الخزينة وتقدر بمئتي وخمسة واربعين الفا من الذهب للبناء والعمران (٢) . كما نرى ان عهد الرحمن الداخل مع انهماكه الشديد في قمع القلاقل والفتن والقضا على الفوضى التي كانت مهيمنة على الاندلس ابدى عناية خاصة بفني الزراعة والعمارة وعمل على انهاضهما ، وما زال بهما حتى بلغا شأوا عظيما ، واصبحت قرطبة على عهد تحاكي مدينة بغداد في اتساع شوارعها وضخامة مبانيها وكثرت فيها الحمامات والفنادق ، وانتشرت البساتين على طول ضفة الوادي الكبير كما بنى المدارس الكثيرة وهو الذي شرع في بناء جامع قرطبة الشهير عام مائة وسبعين هجرية كما اخرج عليه مائة الف دينار ، وقد قيل ان هنا الجامع كان من العجائب (٣) وسيأتي ذكره بعد قليل .

(١) المعرى المجلد الاول الجزء الخاص ٢٢٥

(٢) الجزء الثالث الطبعة الجديدة ٢١٩

(٣) الطبعة الجديدة الجزء الرابع ٣١٤-٣١٨

وها نرى ان بركان الفتن والاضطراب قد هدا على زمن عبد الرحمن الثاني . وخيم الامن والسلام ، واعتري الاندلس فترة سكون وهدوء فكثر فيها الاموال ، فاعتنى عبد الرحمن الثاني بمشاريع العلمية فشيّد الجسور والمساجد والقصور (١) واقام الجنائن التي تجرى بها البحيرات الصغيرة المجلوبة من الجبال (٢) وكفى الناصر فخرا انه باني مدينة الزهراء فقد عرف عنه ولعه الشديد بالعمارة وتشبيده المباني والقصور وقد عرف عصره بالعصر الذهبي . وقد جلب الماء هو ايضا الى القصور من الجبل واستخدمه عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية . ثم اخذ في بناء المنتزهات ، فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور ، وساق لها الماء من اعلى الجبل على بعد المسافة (٣)

وكذلك نرى ان هؤلاء الخلفاء والامراء والقادة والنبلاء تنافسوا في تشييد القصور وتجميلها وتزيينها سواء كان بتنسيق البساتين الجميلة وغرسها باندري الزهور والفاكهة او باقامة التماثيل ومنا البرك والبحيرات التي جاءت آية من آيات الفن والابداع .

ولقد شجع هؤلاء الامراء والخلفاء الادب والادباء والشعر والشعراء فكان من الطبيعي ان يهرع هؤلاء الادباء والشعراء الى البلاطات يتزلفون ويمدحون ، ويصوفون القصائد الطويلة في المدوح وقصوره ومبانيه وحنائقه وما حوت من اطائب الاثمار والاشجار ، والازهار ، وهكذا اصبح الشاعر وقتا على هذه المباني وبساتينها وما حوت من الجمال الطبيعي الى جانب الجمال المصطنع ، فكان الشاعر يدلا من ان ينظم قصائده في الانهار المنسابة في الفلاة والبراري وفي الاشجار ، يقف شعره على الثغني بمحاسن القصور والبساتين المار ذكرها .

وتظهر محبة الرحمن الداخل للعلوم والآداب في اظهاره نهاية خاصة بها واكثره من عقد الاجتماعات الادبية والعلمية والفلسفية ونائه للكثير من المدارس . كما ان الكثير منهم كان ينظم الشعر ، فلقد كان عبد الرحمن الثاني عالما فاشد ميله الى العلماء وكان ادبيا نرفع مكانة الادباء وكان عالما بالفلسفة والشريعة فبجل الفقهاء ومن ثم ازدحم بلاطه بالعلماء والشعراء ورجال الادب (٤)

ولقد كان هؤلاء الخلفاء والامراء على صواب في شدة شغفهم بالبناء ، فقد كانت الحياة في الاندلس تتطلب هذا . فعلاوة على التائق في البناء والعمران كان يعود عليهم بالراحة والرفاهية ، كانت هذه الناحية تجذب احباب الناس واحترامهم لهم ذلك ان الاندلس كان يميل الى البناء العظيم الفخم ويشعر ان البناء العظيم يدل على عظمة الباني .

كما نرى ان الخليفة لم يكتف بتهيئة اسباب الراحة لنفسه فحسب بل شيّد الجوامع والحمامات واقام الجسور والقلاع وبني المنتزهات لتتوفر اسباب الراحة لشعبه . فكانوا يهرعون زرافات ووحدانا الى هذه المنزهات يقضون نهاراتهم بين فوارات المياه العذبة واريح الازهار الجميلة وتحت ظلال الاشجار الوارفة .

(١) النصولي ص ٦٢ من Lane Poole P.78 (٢) ابن خلدون الجزء الرابع ١٣٠

(٣) ابن خلدون (٤) ابن خلدون المجلد الرابع ١٣٠ - المقرئ الجزء الاول ١٦٢

وقد سئل احد الولاة مرة ، كيف تانقتني بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل قرطبه ، فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر فاخبيت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذكر به على رقبهم (١) وقال صاحب النفع " واعلم ان المباني دالة على عظمة قدر بانيها " . ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ، ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد " (٢)

وفي هذا المعنى قال منذر ابن سعيد الشاعر عندما دخل على الناصر وهو منهمك في الاشتغال بالبنيان :

هم الطوك اذا ارادوا نكرها من بعد هم فبالسن البنيان
او ما ترى الهرمين قد يقيسواكم ملك مجاء حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاضم شأنه اضحى يدل على عظيم الشأن (٣)
هذه هي نظرة الاندلسي الى البنيان فعظمة البناء تدل على عظمة الباني ، كما ان البناء يخلد بانيه .

وهكذا فقد تفنن الاندلسيون بالبناء فاستعملوا المواد المختلفة كالجبس والجص (٤) والرخام الذي فيه الابيض الناصع اللون والخمرى الغريب الشكل ومنه ما هو موشى في حمرة وصفرة ومنه الحالك والمجذع (٥) واما الوردى والاخضر فكانوا ياتون به من افريقيا (٦) واستخدموا الرصاص في القنوات والذهب الابيض والفضة الخالصة والنحاس المحول (٧) وكانت القرامد مذهبة او مفضضة واستخدموا العاج والابانوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر (٨) والصخر المنحوت المعدل والصخر والاجر غير المعدل (٩) والبلور الصافي (١٠) والفخار المزجج (١١) واستخدموا العرمر المسنن والحديد (١٢) واستعملوا نوعا من الرخام الصقيل المعروف بالملوكي (١٣)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٩	(٢) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٨ - ١٢٩
(٣) " الطبعة الاميرية الجزء الاول ٢٦٩	(٤) " الطبعة الاميرية " الاول ٢٦٩
(٥) " " " " " ٩٥	(٦) " " " " " ٢٥٠
(٧) " " " " " ٢١٩	(٨) نفع الطيب الاميرية " ٢٥٠
(٩) نفع الطيب الاميرية " ٢٤٩	(١٠) " " " " " ٢٥٠
(١١) " " " " " ٩٥	(١٢) " " " " " ٢٦٩
(١٣) " " " " " الثاني ٧٩٤	

ونرى ايضا ان الخلفاء والافراء لم يقصروا همهم على القصور والحدائق وتوفير الراحة لانفسهم فقط بل اهتموا بالمدينة وتوسيعها وتجميلها لكي يضمنوا الراحة لشعبهم فقد كانت الشوارع متسعة والمباني مرتفعة وضخمة والديار فسيحة كبيرة (١) اما المياه فكانت توزع داخل المدينة بطرق هندسية فنية على البيوت والاسواق والحمامات والارباح الداخلية والخارجية ، والبساتين كما حدث في غرناطة التي سميت بدمشق الشام (٢) وهذه المياه تتوزع بواسطة قنوات من الرصاص تقام على حنايا تؤديها الى القصور والبحيرات والبرك والاحواض والصهاريج (٣) ولكي نعطي صورة واضحة من هذه المدن الاندلسية ، وتنسيقها وعمرانها من مباني وقصور ومساجد ، اجد ان اتكلم عن بعض مدنها الشهيرة مثل قرطبة والزهراء .

قرطبة

تقع قرطبة في سهل خصب واسع على سفح جبال سيرا مورينا بحيث تؤلف مدرجا بشكل نصف دائرة على الشاطئ الايمن لنهر الوادي الكبير (٤) وقد وصف بعضهم قرطبة قائلا : " قرطبة من الاندلس بمثابة الرأس من الجسد ، ونهرها احسن الانهار مكثف بدياج المروج مطرز بالازهار ، تصدح في جنباته الاطيار بوتنعر النواير ، وبسم النوار وقرطابها الزاهرة والزهراء حاضرتا الحك واققاء النعما والسرا " (٥) وقال آخر : " جوفها شام وغريبها قمام ، وقبلتها منام ، والجنة هي والسلام " (٦) ويعني بالشام جبال الورد ، ويقام ما يؤكل من الدمام النهر . ديارها فسيحة كبيرة ، شوارعها متسعة مبانيها ضخمة مشيدة ، هواؤها معتدل ، ونهرها جار عذب ، كثيرة الاشجار والرياض (٧) عديدة السكان ، فسيحة الاسواق نظيفة (٨)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٣ - الطبعة الاميرية ٢١٧

(٢) " الطبعة الاميرية " الثاني ٢٩٣

(٣) " " " الاول ٢١١

(٤) امير سيد علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي

(٥) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٢

(٦) " " " " ٣٠٣

(٧) " " " " ٣٠٤

(٨) " " " الرابع ١١٣

لقد تفنن ملوك العرب بتجميل قرطبه وتوسيعها فعمل عبد الرحمن الداخل على تعظيمها فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه واصلاح مساجد الكور ، ثم ابتنى مدينة الرصافة منزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الخراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار (١)

وقد جاء في النفع ان دور مدينة قرطبه بلغت الثلاثين الف ذراع (٢) ودور قصر امارتها الف ذراع ومائة (٣) وعدد ارياضها واحدا وعشرين في كل ركن فيها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون لغيره (٤) كما ان بخارج قرطبه ثلاثة آلاف قرية (٥)

وليس ادل على عظمة قرطبه وفخامتها في تلك الايام من قول بعض مؤرخي العصر " بان المسافرين يستطيع ان يسير عشرة اميال في طريقها على ضوء المصابيح " ويقول كاتب آخر ان المدينة امتدت ٢٤ ميلا طولا و ٦ اميال عرضا وكانت كل هذه المساحة زاخرة بالقصور والجوامع والنازل والحدائق على ضفاف الوادي الكبير كما كانت ضواحيها مقسمة الى ٢٧ حيا يسكنها افراد الطبقة الغنية ورجال الدولة وكان لكل حي جوامعه واسواقه وحماماته و

وجلبت المياه من الجبل ووزعت في المدينة ، ان كان اول عمل قام به الحكم عند توليته الملك اقامة القناة التي تحمل الماء العذب من جبل قرطبه الى المدينة وقد زاد خلفاؤه عدد تلك القنوات و فاجروا المياه العذبة في قنوات نحاسية في كل ساحة من ساحات البلد وكانت الاحواض والصحاري ممتلئة من العمر المنقوش او من النحاس المصنوع من الذهب والفضة . وقد اقيم العرب بروجية المياه تجري على مختلف الاشكال والانواع ولهذا انشئت حول القصور حدائق فناء ورياضاتيفة تجري من تحتها الجداول العذبة كما شيد لا عبد الرحمن الثالث قناة عظيمة تجري فيها المياه العذبة المجاور الى المدينة على حنايا معقودة ينساب ماؤها الى بحيرة عظيمة وقد اقيم عليها اسد عظيم الصورة ، بديع الصنع شديد البرقة مطلبي بالذهب وحياء جوهرة ثمان نفستان فيها وميض عجيب . يجوز الماء الى حيز هذا الاسد فيدفعه الى البحيرة ، وبجانبه تمثال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال المدينة كفايتها ، وتسقى الحدائق والجنان (٦)

(١) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ٧

(٢) " " " الرابع ١٠٢

(٣) " " " ١٠٣

(٤) " " " ١٠٣

(٥) " " " ١٠٣

(٦) " " " الخامس ٥٤

ولا ننس ونحن بصدد قرطبه حديقة الرصافة التي بناها عبد الرحمن الاول والتي اصبحت
انموذجا في كافة امالك اوربا المتمدنة ، ان كانت تزخر بالزهور النادرة والاشجار الوارفة التي كانت
تجلب اليها من سائر انحاء العالم وما زاد في رونق وبها تلك الحديقة الغناء القصر النيف الدارس
الذي كان يطل عليها .

ومن عجائب قرطبه ايضا مسجدها الشهير الذي بناها الداخل ، وانه هشام الاول ، وجعله
الناصر ، نجاء آية في الفن والابداع . وقد انفق الحكم في زيادة هذا الجامع مائة الف وواحدا وستين
الف دينار ونيفا وكله من الاخماس (١) وعندما شرع عبد الرحمن الداخل في بنائه سنة ١٧٠ هجرية
اخرج عليه مائة الف دينار وقد قيل ان هذا الجامع كان من العجائب مومن عجائبه احتواؤه نحو ثلثمائة
وستين طاقا على عدد ايام السنة تدخل الشمس كل يوم من طاق الى ان يتم الدور ثم تعود (٢)
وقد قيل ايضا ان فيه تنورا من نحاس اصفر يحمل الف مصباح (٣) اما باب مقصورة الجامع فكان من الذهب
وكذلك جوار المحاور وما يليه وقد اجرى فيه الذهب على النيفاس ، وثريات المقصورة نفقة محض وارتفاع
الصومعة ثلاثة وسبعون ذراعا الى اعلى القبة المتفحة التي يستديرها المؤذن وفي رأس هذه القبة
تفانيع ذهب ونفضة ، ودور كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف ، فاشتاتان من التفانيع ذهب ابريز وواحدة نفقة
وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست باهدع صنعة ، وقد وضع على رأس النج رمانة ذهب
صغيرة وهي احدى غرائب الارض (٤) وهكذا نرى ان اهل الاندلس جعلوا زينة مساجدهم على اشكال
الفاكهة والزهور .

وكان عدد سوارى الجامع الحاملة لسمائه واللامقة بجانبه وقبابه ومنازه بين كبيرة وصغيرة
الف واربعمائة وسبعة عشر سارية ، وقيل اكثر (٥) وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان
وشانون ثريا ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف كاس واربعمائة وخمسون وعشرون كاسا . وزنة مشاكي الرصاص
للكؤوس المذكورة عشرة ارباع ، وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة ارباع
القنطار ، وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ريع ، وما كان يختص به في شهر
رمضان ثلاثة قناظير من الشمع وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقطر (٦)

(٢) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ٧

(٤)	المقرئ الطبعة الجديدة	الجزء الخامس	١١
(٥)	"	"	١٤
(٦)	"	"	١٤-١٥-١٦

وفي هذا الجامع من النقوش والرسوم ما لا يقدر احد على وصفه ، وبقبلته صناعات تدفن العقول
وفي ضفادى (ناحيتي) المحراب اربعة اصدية اثنان اخضران ، واثنان لآزوردیان ليس لها قيمة لنفاستها
وبه منبر نفيس خشبه ساج وآبنوس ومتم وعود قاقلي . وفيه حاصل كبير ملائ من آتية الذهب والفضة لاجل
الوقود ، وللجامع مشرون بابا صفحات بالنحاس الاندلسي مخزومة تخريما عجيبا يعجز البشر وببهرهم (١)
وما هو جدير بالذكر ان النساء كن يذهبن ايضا للجامع للصلاة وقد خصص لهن اماكن ومقصورات منفردة (٢)

الزهرا

بنى هذه المدينة العجيبة الخليفة الناصر بنأ على طلب جارسته المحببة اليه الزهرا ، اذ قالت
له يوما استميت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فلبس طلبها وبناها تحت جبل العروس
وهي على نحو اربعة اميال من قرطبه وجعلها مآة مستنزا ومسكنا للزهرا وحاشيته وارباب الدولة ونقش
صورتها على الباب ولما قعدت الزهرة في مجلسها نظرت الى بيابان المدينة وحسنها في حجب ذلك الجبل
الاسود فقالت : الا ترى حسن هذه الجارية الحسنأ في حجب ذلك الزنجي ، فامر الناصر بيزوال ذلك
الجبل فقال بحجر جلسائه : اميد امير المؤمنين ان يخطر له ما يشين العقل سماعة فلو اجتمع الخلق ما
ازالوه صقرا ولا قطعاه ولا يزيله الا من خلقه . فامر بقطع شجرة وقرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر احسن
منها ولا سيما في ازمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل (٣)

وجب ان لا نستغرب ذلك من الناصر حتى ولا ازالة الجبل فقد كان كلفا بعمارة الارض
واقامة معالمها واستتباط مياهها واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة
السلطان وعلو الهمة فافضى به الاغراق في ذلك الى ان يهذل الاموال الطائلة لبنا مدينة الزهرا (٤)
وهو الذي خصص ثلث الخزينة لبنا الزهرا وكانت الجباية تقدر بخمسة آلاف دينار واربعمائة الف
وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف دينار وخمسة وستون الف دينار (٥) واتصل
بنيان الزهرا ايام الناصر خمس وعشرين سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها
وكانت خمسة عشر عاما واشهرها (٦)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس ٤١ - ٤٢

(٢) ١٦

(٣) الرابع ٢٢٤

(٤) الخامس ٦١

(٥) الرابع ٢٢٥

(٦) الخامس ٦٥

وسوف لا نستكثر هذه الاموال الطائلة التي صرفت في بناء الزهراء انا علمنا انه كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدم والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب والذخيرة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة ، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الاجر والصخر الغير معدل (١) وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الفا وسبعمائة وخمسين فتى ودخلتهم من اللحم كل يوم حاشا انواع الدجاج والحجل وصنوف الدمير وضروب الحيتان ثلاثة عشر الف رطل ، وهذه النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة واربع عشرة امرأة (٢) والمربى من الخبز لحيتان الباجية بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة كل يوم ، وينفق لها من الحمر الاسود ستة افقزة كل يوم (٣) وقدرت الخدمة في الزهراء في كل عام بثلثمائة الف دينار مدة خمسة وعشرين عاما (٤)

والزهراء مصنوعة من المرمر الخالص الابيض والاخضر والوردي والمجنج الذي حمل الي قرطبه من سائر انحاء العالم . واحواضها منقوشة بالذهب الغرب الشكل الغالي القيمة ، وفيها حوض صغير اخضر منقوش بتمثيل الانسان جلب من الشام وقيل لا قيمة له لفرط غرابته وجماله ، وقد نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالموتى ، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما حمل بدار الصناعة بقرطبه وقد نصب عليه صورة اسد والى جانبه فزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله شعبان ، وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ، ودجاجة وديك وصداء ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولي لهذا البنيان ابنه الحكم لان الناصر لم يتكلم على احد غيره (٥) وللزهراء وابنتيها مقام سام عند الشعراء الاندلسيين ، والآن بقي علينا ان نقول كلمة في " قصر الخلافة " بالزهراء الذي هو ايضا اية من ايات الفن والابداع . فقد كان سمكه من الذهب والرخام النظيف في جرمه ، العما في لونه ، للمطونة اجناسه وقد عملت حيطانه على هذا الشكل وجعلت في وسطه البيتية التي اهداها اليه ملك القسطنطينية . وكان في قرايد هذا القصر من الذهب والفضة كما اقيم في وسط هذا المجلس صهريج عظيم مملوء بالزئبق ، واقام على كل جانب من جوانب المجلس ثمانية ابواب قد انعدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور

(١)	المقرى	المجلد	الاول	الجزء	الاول	الرقم
(٢)	"	"	"	"	الخامس	٥٩
(٣)	"	"	"	"	"	٥٩
(٤)	"	"	"	"	"	٦٢
(٥)	"	"	"	"	"	٦٤

الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطان فيحدث من جوار ذلك نور يخطف الابصار وكان الناصر اذا اراد ان يفرغ احدا من اهل مجلسه او ياتي الى احد مقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلعنان البرق من النور فيأخذ بجماع القلوب حتى ليخيل لكل من في المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك (١) وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانا تهيأ له لكثرة الزئبق سندهم . وكان بناء الزاهرة في غاية الاتقان والحسن . وبها من المرمر والذهب والعبد كثير . واجرى فيها المياه واحدى بها البساتين (٢)

هذه نظرة عامة خاطفة للتقدم العمراني في البلاد الاندلسية لم نر الاستغناء عنها لما لها من اثر هام في شعر الطبيعة في الاندلسي .

(١) المرقى المجلد الاول الجزء الرابع ٢٨٢

(٢) " " " " " ٢٨٢

الفصل الثاني

الطبيعة في الشعر الاندلسي

نظرة عامة في الشعر الاندلسي

راينا في الفصل السابق كيف دخل العرب الى الاندلس ووطدوا حكمهم فيها ونرى في هذا الفصل ان هؤلاء العرب الفاتحين جاءوا بشعرهم وادبهم ولغتهم من المشرق فساعدتهم ذلك على ايجاد نهضة ادبية خاصة نمت وتزهت على مر الزمن - ولا يستطيع المؤرخ ان يتجاهل هذه النهضة الادبية الخاصة وان جاءت في كثرتها الساحقة ماثرة بغطى الشعر المشرقي كما سنرى .

لقد طرق الشعر الاندلسي في موضوعاته جميع الابواب التي طرفها شعر المشاركة في بغداد والشام فاشتمر في المدح ابن هاني ، وابن عبد ربه ، واحمد ابن شهيد ، وابن زيدون وابن حمديس ، وابن الحداد ، وابن مبدون ، وابن الخطيب وابن زمرك . وفي الرثاء : ابن اللبان ، وابن ميدون ، وابو البقاء الرندي وفي التشكي وذم الدهر ، المعتمد بن عباد ، وابن اللبان .

وفي الهجاء : ابو بكر الخزرجي الاعشى شاعر غرناطة - وولادة بنت المستكفي وكان هذا الفن ضعيفا في الاندلس .

وفي الفخر والسماة ابن وهبون ونفر قليل غيره لا يعتمد بهم لانهم لم يكونوا مشهورين . وفي الحكم ابن هاني وابن زيدون وابن وهبون . وفي الوصف اكثر الشعراء الذين تقدم ذكرهم وقد اجادوا في هذا اللون الشعري حتى انهم فاقوا المشاركة في كثير منه .

وفي الغزل : ابو عمار ابن شهيد ، والربادي والرفاء ، وابن الحداد وابن خفاجة وابن زيدون . وفي الطبيعة والعيان نبع شعراء كثيرون سنأتي على ذكرهم بشيء من التفصيل فيما بعد .

وهكذا نرى ان شعراء الاندلس طرقت جميع الابواب الشعرية التي عرفها قبلهم

شعراء المشرق فهم لم يجدوا من هذه الناحية ولم يتناولوا مواضيع جديدة مبتكرة لم يطرقت قبلهم المشاركة وهكذا ان نظمنا الى القول بانهم كانوا مقلدين لشعر المشرق في جميع الموضوعات الا في الموشحات والازجال . واذا كان هناك من اختلاف بين شعرهم وشعر المشرق ففي الصور والجزايا الفنية الادبية لا في الجوهر ولا في الموضوع ، واليك اعم الجزايا الفنية في شعرهم :

يلاحظ اولاً ان هذا الشعر الاندلسي ينسج على منوال الشعر المشرقي في موضوعاته

وفي اساليبه . فجميع هذه المواضيع المذكورة عرفها المشاركة وطرقوها في اشعارهم قبل ان

تصل الى الاندلسيين ، واذا كان هنالك باب جديد في الشعر لم يعرفه المشاركة معرفة صحيحة

فهو باب الموشحات والازجال .

لم تختلف مزايما الشعر الاندلسي عنها في الشعر المشرقي اختلافا بينا فهم يلازمون الاسلوب القديم من حيث الاستمالة ، وحسن التخلص والتزام الغزل في قعائدهم المدحية .

ولقد تناولوا في اوصافهم ما تناوله قبلهم المشاركة من فلاة ونياب ووادى والفراس . وفي مدحهم بعض التعلق والاستعطاف كما هي الحال في كثير من شعر المشرق وما نقوله في الشعر المدحى نقوله في غيره من الالوان الشعرية ، فشعرهم الرثائي ينسج على المنوال والاسلوب الذى نسج عليه المشاركة ولكننا نلاحظ ان الاندلسيين حضوا برثاء المدن والبلدان وذكر الاحداث التي نزلت بالامم الخالية قباياتها وقوضت عروش اسماؤها . وبهذا قد يخرجون عن الاسلوب المشرقي . نذكر كشال على هذا نونية الرندى ودالية ابن اللبان وفيها يرثي دولة بني هاد .

وغزلهم يختلف بين الغزل البدوى والغزل الحضرى وفيه كثير من التقليد والتكلف والفحش والمجون . اما موضوعاتهم الغزلية التي وضوها فلا تخرج عما عرفته المشاركة . فلقد وصفوا اعضاء الجسم حضوا واكثروا من التشايب المألوفة المعروفة يتدللوا امام الحبيب ويعهدوا له وهظموه واجلوه .

والشعر الاندلسي سواء كان في المدح او في الغزل في الرثاء او في الخمر والعجون تسيطر عليه نومة الرقة والميلولة التي لا تلتصق لها اثر في الشعر المشرقي . وهذه الميلولة وهذه الرقة تبدو في الالفاظ وفي المعاني . وبهذا نحاول ان نفتش عن معنى مشترك طرقة الاندلسيين لم يعرته المشاركة قبلهم . بل عنها نفتش عن معنى هقيق ، غريب في شعرهم كما هي الحال في معاني ابي تمام والسنبل مثلاً .

ولا بد لنا ونحن نذكر مزايما الشعر الاندلسي ، ونقارن بينه وبين الشعر المشرقي من القول ان اولي الشان في الاندلس من امراء وهلفاء ، وحكام وسلاطين كانوا معجبين بالشعر والشعراء احباها كغيرهم ، يقربونهم اليهم ويذلون لهم الاعطيات والهدايا كما كانت الحال في المشرق ، مما عزز الادب والشعر وكان الباعث على انهماهما وتقديمها .

لم تكن لغة الاندلسيين في شعرهم محكمة كلغة المشاركة وذلك لابتعادهم عن الوطن الام ولاحتكاكهم بشعوب جديدة اجنبية منهم ، خاصة وان الجيل العربي الجديد الذى نشأ في الاندلس لم يكن هربيا خالصا فنظم شعراءه الشعر بلغة عربية غير دانية .

هذه بعض المزايما الهامة في الشعر الاندلسي ذكرتها وانا طامدة الا اتميل البحث فيما واضرب الامثلة عليها خوفا من الاطالة والخروج عن المطلوب لا سيما وان البحث يجب ان يكون في شعر الطبيعة في الاندلس ما سنراه منفصلا في الباب الاتي .

٢ - شعراء الطبيعة في الاندلس

قال الاندلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة كما تبين ولكن اذا شئت ان تلمس ابداعهم وبراعة وصفهم ، ودقة تصويرهم ورقة احساسهم ، وشدة افتتانهم وحلاوة معانيهم وخصب خيالهم فاسمعهم في ذكر بلادهم الجميلة ووصف مفاصلها ، اسمهم يصفون اطيوارها واشجارها ، جداولها وانهارها ، نجومها واقطارها ، فيومها وامطارها ، قصورها وحدائقها ، بركها ودوائقها مصورها وتماثيلها نقوشها وما الى ذلك من اسباب عمرانها . وما كان شعرهم الا اللوانا متمازجة انيقة من خضرة الاشجار وحمرة الاثمار ، وبياض الحباب ، وصفرة الشمس ، وذهب الاصيل ولجين الماء ورقة المسما .

وما كان شعرهم ان موسيقى عذبة لتفيد المعنى ، ووقع اللفظ ، وهديل الحمام ، وزنين الكا ، وخرير الماء ،

وما كان شعرهم الا نسيم الريح الفيحك ، وارجح الازهار البيضاء ، وعبق

الورد الحمراء .

وما كانت طبيعتهم الا طبيعة القصب الطائفة والطير الساجدة والارض

النامية .

كان للطبيعة في نفس الشاعر الرقيق العرف الحسائر ، وكان للطبيعة

في شعره ظل ، وكان للطبيعة في جميع افراضه التي قال فيها الشعر والابواب التي طرقها

ذكر . فالطبيعة الله الحميم وتوأم روحه ، كيف لا وهي مهبط روحه . فالى ظلالها يسكن

وبين محاسنها يهيم ، وبين مبالغها يقضي اعذب اوقاته مع الحبيب او في ارتشاف الخمر .

ولذلك فللطبيعة ذكريات في قلبه وللطبيعة انطباعات في حسه ، ولذلك فهو يذكرها دائما

ويظل يلتفت الى ماضي اوقاته بين احضانها بحنين عذب وكم يتمنى لو تعود تلك الايام ثانية .

فلا غرو ان يكون اذا للطبيعة في نفسه مكان رفيع ولا غرو ان يظل الاندلس ذلك الصقع

الجميل الذي له الطف اثر واجمل وقع في نفوس ابنائه ماثلا لاهل الاندلس اينما حل واينما

سار فهي قبلته وكعبته ، فاليها يحن واليها يتشوق ، وحبها في دماءه يجري حارا فحماها

فوق كل جملد وهرانها دونه كل هيران . ويظهر ذلك جليا في ابيات ابن خفاجة المشهور :

يا اهل اندلس لله دركم ما وظل وانهار واشجار

ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت اختار

لا تخشوا بعد اذا ان تدخلوا مقرا فليس تدخل بعد الجنة النار (١)

ولكي يسهل علينا البحث وتفتح أمام القارئ نأخذ منه صورة جلية واضحة نقسم
شعر الطبيعة في الاندلس الى عناصر مختلفة تناولها الشعراء فوجدوها عنصرا عنصرا
اهمها ما يلي :

١ - الخضراء

أ . الرياض والحدائق

١ - الورود والرياحين

٢ - غراس الفسحة وسواها

ب - المنتزهات

٢ - الماء

أ . الجداول والنفدران

ب . البحيرات والبحار

ج . الاحواض والنوامير

٣ - الجبال والوديان

أ . الجبال

ب . الوديان

٤ - في الطير والحيوان والسموم

ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت اختار (١)

نعم لقد كانت الاندلس في ذلك اللعين جنة الله في ارضه ، فلقد حباها الله بالقسط الاوفر من اعتدال مناخ ورقة هواه ولطافة جو . فقاها الغمام من دموعه نسي اكثر ايام السنة فتجبرت ارضها بالارض النياضة والجداول الرقراقة والينابيع الماثرة ، والعيون الناضجة وانساب الوديان تشق طريقها لا مبالية تاركة وراءها سهولا ربا حيث نهت الاعشاب والازهار وامتدت البساتين والرياحين فاصبحت تلك البقاع وكأنها حديقة واحدة واسعة الارجاء تعمق فيها مختلف الازهار وتنتصب فيها اشجار رندية الاخضار .

وقال بعض الادباء في ذلك ان النصارى حرموا جنة الآخرة . فاعطاهم الله جنة الدنيا

بستانا متعلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية * (٢)

ولم يكف اهلها بهذا القسط من الجمال الطليهي بل عمت يد الانسان في التنسيق والتنظيم وتسابق الامراء والخلفاء في هذا المضمار فاقاموا الجسور وشيدوا القصور وبنوا المدن وخططوا الرياض والبساتين وغرسوا بها الاشجار والازهار والرياحين واسالوا مياه الانهار والجداول ، واقاموا البرك الجميلة والبحيرات الواسعة كما فعل عبد الرحمن الداخل (٣) الذي بنى القصور الفخيمة وعلى راسها قصر الرصافة ، وبنى الجنان الواسعة وثقل اليها غرائب واكلام الشجر من كل ناحية واصبحت حديقة الرصافة انموذجا في كافة سالك اورشليم ، اذ كانت تزخر بالزهور النادرة والاشجار الوارفة التي كانت تجلب اليها من سائر انحاء العالم ، واصبحت الوديان ملاء بالاحراج النضرة الكثيفة وامتلأت مدن الاندلس بالدور الجميلة والقصور الانيقة النيفة تحيق بها الحدائق المسوجة بامرائش الزاخرة باشجار الفاكهة كالبرتقال والليمون والطرنج والاس واللوز والخمائل الناضرة ذات الشذى المعطري ، وانسابت فيها العذارى الصافية ، وقد سطت الشوارع النواير والفوارات الجميلة التي انبثقت منها المياه على اشكال مختلفة تبعث في النفس الغبطة والسرور وطيب الجو هبوب النسيم المعطر بشذى الورد والرياحين فانعش القلب واحيا النفوس .

(١) ابن خفاجة الديوان

(٢) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٢٢٣

(٣) المعرى النسخ الطبعة الجديدة الجزء الرابع

أوضاع بديعة وساتين رائقة وجنات لا تظفر لها في اختدال الهواء وهذبة الماء
هكذا أصبحت الاندلس في أيام استتب فيها الأمن على يد العرب الفاتحين فتعددت
خيراتها وودنت قطونها . وما يدل على شدة اعتناء العرب بتحسين الاندلس وترقيتها ما
قاله ابن سبيد " وما اختصت به الاندلس ان تراها في نهاية من الجبال لتصنع اهلها
في اوضاعها وتبيضها لثلاثا تتبوا الميرون عنها (١) " فهي كما قال الوزير ابن الحمار
فيها

لاحت قراها بين حضرة ايكها كالدريين زرجد مكنون (٢)

واليك ما جاء في الاحاطة في وصف غرناطة وحدائقها وساتينها . " فالجبال الشاهقة
والسفن العريضة والبطون المستدة والافوار الخافتة مكللة بالاعشاب غاصة بالادواح متزاحمة
بالبيوت والاهراج (٣) . وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث الكرم البديعة طوقا
مرقوما يتصل بها وراها من الجبال فتعم الربا والوهاد وتوشم الغور والتجد الا ما اختص
منها بالسهل الانحى متصلا بشرقي باب البيرة الى الخندق العميق . وكان يتخلل المباني الشمال
والجنون وسائر ادوات الفواكه من اللوز والاجاص والكوشى محدقة بالكرم المسجدة والرياض
الملتفة به حور طامية كثيرة المياه . ففيها الكثير من البساتين والرياض والحصون والاسلاك
المتصلة (٤) . "

وتحف بغرناطة البساتين العريضة والادواح الملتفة ليصير سورها من خلف ذلك

كانه من دون سياج :

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره

وكانت واديه معم غادة ومن الجسور المحكمات سواره (٥)

وهكذا قل في قرطبة واشبيلية وغيرها من المدن الاندلسيين الجميلة .

وهكذا الادباء والشعراء وجدوا المجال واسعا امامهم فانبثقت مواهبهم و فاضت
قرائحهم بمغذيات الجمال والخلاب، ومنهما السحر الحلال واصبحت هذه العدايق وهذه
الجنات شغلهم الشاغل فهم اذا ما مدحوا شهبوا ومدحهم بالروضة الغناء يهب فيها النسيم
العليل . فيها ابن خفاجة يمدح قاضي القضاة قائلا :

يا نشر عرف الروضة الغناء ونسيم ظل السرحة العيناء

هذا يهب مع الاصيل عن الربا ارجا وذلك من تدير المساء

عوجا على قاضي القضاة قدية في نسي زهر او حلى اندا (٦)

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٢٦

(٢)

(٣) الاحاطة في اخبار غرناطة القسم الاول ٣٠ (٤) الاحاطة في اخبار غرناطة القسم الاول ٢٢

(٥) ديوان ابن خفاجة ١١ (٦)

وقال في مكان آخر يمدح ايضاً :

اما والتفات الورد عن أزرق النهر
وقد سمت ربح الندامى فنبهت
واشراف جيد الغصن في حلية الزهر
عين الندامى تحت ريحانة الفجر (١)

وقال ابن عمار يمدح المعتضد في رائيته المشهورة :

روى كان النهر فيه معصم
وتنهز ربح الصبا فتخاله
صاف اطل على رداء اخضرا
سيف ابن عباد يهدد عسكرا
مهاد المخضر نائل كفه
والجو قد لبس الرداء الاخضر

اندى على الاكباد من قطر الندى والذ في الاجفان من سنة الكرى (٢)
واذا ما تغزلوا صافوا من الورد خدودا ومن النرجس ميوها ومن الاس اصداها ومن السفرجل نهودا
ومن نصب السكر قدودا ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مهاسم ومن ابنة العنب رضاها (٣)

وليل بعين الدمع وصلا قطعته
ترى الحسن منشور اللوا يسره
فبتنا ومن ورد الخدود ازاهر
وتفاحنا وسر الرياض مورد
وانجمه بين النجوم سمود
وظل الاماني في رياء مديد
لدينا ومن روض الرياض خدود
ورماننا وسط الرياض نهود (٤)

وقال آخر :

لولا حيائي من عين النرجس
ورشت من ثغر الاقاحة ريقها
للمت خد الورد بين السندس
وهتكت استار الوار ولم اقل
وضمت اعطاف الغصون الياس
للهاقلا تلحظ بطرف اشوس (٥)

واكثروا من تشبيه الحبيب بأنواع الياخين والرياح واليساتين وربما غالوا في ذلك حتى يجعلوا من
محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان من ذلك قول ابن خفاجة :

تندى بفيه اقحوانسة اجرع
وتيس في اثوابه ريحانة
قد غازلتها الشمس فب سما
تفاحة الانفاس الا انها
كرمن على ظنا به جدول ماء
حذر النوى خفاقة الانباء (٦)

وفي هذا المعنى قول احد الاندلسيين :

صبوات الصباح تقسموه خدودا
ورأوا حصى الباقوت دون نحورهم
واستومبوا غضب الاراك قدودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبي
فتقلدوا شهب النجوم عقودا
حتى استعاروا امنا وخدودا

(١) ديوان ابن خفاجة ١١ (٢) ديوان ابن خفاجة ١١
(٣) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢١٠ (٤) الاحاطة القسم الاول ٢١
(٥) (٦) ديوان ابن خفاجة

وتثير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى ، وتحرك لواعجه ويرى
الهوى في طلوع النجوم ، والنقى في هبوب النسيم .

- الهوى في طلوع تلك النجوم والنقى في هبوب ذلك النسيم (١)
فالطبيعة والحبيب في نظرا ابن زيدون متشابهان فغرفته تذكر بالشمس وانفاسه بالرياحين
شخصي يذكرني فاه وغرفته
والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب ، بل غصن بان يرسل في وشاح (٢)
رايت الشمس تطلع من نقاب وغصن البان يرسل في وشاح (٣)
بل ان الحبيب لاجمل من البدر وابهى ولوانه بات عنده لما تطلع الى بدر السماء
يا ليل ظل لا اشقى الا يوصل قصرك
لو بات عندي قيو ما بات ارضي قمرك (٤)

ومن ابداع واروع ما قيل في فتنة الطبيعة في ظلال الحب قوله يتشوق الى حبيبته ولادة ابنة
المستكفي :

- اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والافق طلق ويراى الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله كانه ريق لي فاحتل اشفاقا
والروض من مائه الفخي مهتم كما شفت من اللبان اطواقا
يوم كايام لذات لنا انصرفت بتنا بها حين نام الدهر سرانا
نلهو بها يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كان امينه اذ عانيت ارقسي هكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تالقي في ضاحي منابته فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى بناقعه نيلوئل مبق وسنان فيه من الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا اليك لم يعد عنها الصدران خاقا (٥)
وكانوا اذا رثوا وصلوا الروض منتبها على العري كما تجرى جداول الماء على الخدود حزنا عليه
وهمز الناس هزة الاغصان بكاء على العباب وقال ابن خفاجة يرثي الوزير ابا احمد عبد الله
بن ربيعة في كل ناد روض نشاء ويكل خد فيك جندل ماء
ولكل شخص هزة الغصن الندى فب البكاء ورنه المكاء (٦)

(١)	ديوان ابن زيدون	٥٠	(٢)	ديوان ابن زيدون	١٠٩
(٣)	"	٢٦١	(٤)	"	٢٢٢
(٥)	"	٢٥٢	(٦)	خفاجة	١٣

ومنها :

فلطالما كنا نرجح بظله فنرجح منه بمرحة غناء

فتفت على حكم البهاشة نورها وتفتت في اوجه الجلساء

تفتج الغمامة منه كانه قمر تعق شمله الظلما (١)

ويظهر ان الطبيعة اصبحت تشارك الاندلسي افراحه واحزانها فاذا حزن شعر انها يجب ان تشاركه همومه واحزانها وقد يبكي الشاعر بحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان تؤاسيه وان تهطل السحب دموعا .

الم يان ان يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثاري البرق منصلت الدمل

وهلا اقامت انجم الليل مانسما لتندب في الافاق ما ضاع من مثلي (٢)

وهنا يطلب شاعرنا في حالة يأسه ان يبقى مع الآسي والقواني
الا خلياني والاس والقواني ارددها شجوى واجهش باكيا (٣)
ومنها وهو يخاطب الماء ويستجد :

يا برد هذا الماء هل منك قطرة تهل فيستقي غمامك هاديا

وقف حيث سال النهر ينساب ارقما وهب نسيم الايك ينفث راقيا

وقل لا تيلا هناك واجدع سقيت اتيلا وحييت واديا (٤)

وان لقي هذه المناجاة وهي تصدر من قلب شاعر متالم حساس لوعة صادقة تحمل القارئ على مشاركته شعوره .

واذا ما جلسوا في مجلس انس او طرب لم ينسوا ما كانت تهينه لهم طبيعتهم الجذابة
من جوجيل مفرح تترنق فيه الاطيار وتسيل فيه العجاج وتطيب فيه الاثمار

ول بنا نعوين الدمع نشرها حيث السرور بكاس الانس يسقينا

حيث الهنا وفنون اللهورائعة والطير من طرب فيها تتاجينا

وجدول الماء يحكي في اجنته صوارما جردت في يوم صفينا (٥)

وامين الزهرني الانعان جاحظة كانها امين الغزلان تفرسنا

وتصبح الطبيعة وقد ثلوا بلذة الخمرة في نظرم كفاة مغربة فلا يستطيعون تفاديها فياخذون
بمغازلتها وخصها بقسم وافر من شعرهم .

ادرها فالسما بدت عروسا مخمة الملايس بالغروالي

وحد الارض غفرا اصيل وجفن النهر كحل بالظلال

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) ديوان ابن خفاجة ١٤ | (٢) ديوان ابن زيدون ١١٢ |
| (٣) المطمح ا جزء الثالث ٨٥ | (٤) المطمح الجزء الثالث ٨٥ |
| (٥) الاحاطة القسم الاول ٣٠ | |

وجيد الغنم يشرب في لآل
وقال ابو بكر حمد بن نصر الاشبلي وقد هدت الطبيعة كالعروس

وكانما تلك الرياض عرائس
طوبسهن معصفر ومزهر

او كالنيمان لبس موشي الحلبي
فلهن في وشي اللباس تبختر (٢)

وهكذا نرى ان الطبيعة لدى الاندلسي تتقبل جميع الصور وتنمى جميع الاشكال ، فان مدح
حول سدوحه الى رياض وازهار واقمار وشموس ، واذا تغزل انسان في القصيدة كالما الزلال ، واذا
رعى تحولت الى دموع حارة تذرف على نقيده .

ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرة لم تتنوع صورهم ولم تتعدد
مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيرا بعضهم عن بعض في انواع
الاستعارات والتشبيه والتعسينات اللفظية فالمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قصائد لشعراء
مختلفين بالفاظ واحدة وتعايير واحدة كما سنرى في الصفحات المقبلة . اذ لم يكن الشعر الاندلسي
وهو وصف الرياض والبساتين الا كالرسم البارع الذي توفقت لديه المناظر البهجة ولكنه على توفرها
وجمال الوانها لم يستطع ان يقلبها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن من ان يسكب فيها روحا
من روحه او ان يلونها بريشته مغموسة بدم قلبه . بل كان شاعرنا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه
يقيم بهجاءها وتمتع بحسرها ثم يقف امام مذبح لينقل الى الناس مشاهدته ومغامراته وما
تركته الطبيعة في نفسه من اثر وشعور بعدوان من الحس والمشاهدة ، فكان الشاعر يقرأ من سفر
الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل ، ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر كما
راينا وزخرت لغته بالاسماء والادواف لشتى مظاهر الطبيعة وانوارها وما لانهارها واوقاتها فما كان
منه الا ان ينقلها اليها بقلب شعري لطيف . ولهذا نرى ان هذا الشعراء هم بالفتور واصطبح
بالصنعة وهيمنت عليه مسحة التكلف والتطرق ، ولعل ذلك يرجع الى ان شاعرنا لم يخرج الى
الطبيعة يتأملها لاجلها وحدها ويستجلي محاسنها وان يحاول التنازل الى معانيها واستكشاف
اسرارها وفواضها بل كان هنالك دواعي عديدة خارجة تدفعه الى وصلها والتغني بمحاسنها
من اهمها :

(١) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عطايا الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هؤلاء
الملوك لمآربهم الخاصة والعامة ، فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب اميره في
مدحه ووصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الغرائب والنفاد . وكثيرا ما كان يخرج
الامراء والقواد الى رياضهم ومنزلاتهم ومعهم الشعراء للغاية نفسها فلا غرو اذا ان ينقص الشعر
حرارة الايمان ، وحرارة الشفق بالطبيعة نفسها .

قال ابو عبد الله بن السيد البطليوس يصف منتزها انه مع المأمون بن ذي النون
 حضرت مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمع اليها النى ومآها هو
 المقترح والمتنى ، والمأمون قد احتسب وأقام الحبا بمجلس يروق كان الشمس في افقه والبدر
 كالنجم في مفرقه والنور عين ، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق ، والدولاب يثن كفاقة اثر الحوار
 او ككلى من حر الار والجو قد غبرته انواء ، والروض قد رسته انداؤه ، والاسد قد لغرت
 افواهها ، ومجت امواها فقلت (١) :

يا منظرا ان نظرت بهجته	اذكرني حسن جنة الخلد
تربة سك وجو عنسيرة	وفيم تد وطش مساورد
والماء كاللازورد قد نظمت	منه الآلى فوافر الاسد
كانا جائل الحباب بسه	بلعب في جانيه بالنسرد
تراه يزهو ان يحل به ال	مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان يدا به قسرا	تا يدا ني مطاع المسد
كانا البت حدائقه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كانا جادها فروضها	بوابل من يمينه رفد (٢)

ان التمتع في وصف الطبيعة لجلي ظاهر في هذه المقطوعة وما وصفها الا ليغرض المأمون
 فيصف مجلسه ثم يتوصل الى مدحه كما ان تربة المسك وجو العنبر ، وفيم الند ومطو ماء الورد
 ولا زورد الماء كلها تعابير تكررت في الشعر الاندلسي حتى ملست .

ولم يختل ف ابو الفضل عن زميله البطليوس في وصف احدى نزهة المستمعين ، وركب
 المستمعين بالله يوما مهر سرقسطه يريد طراد لذاته وارتياح نزهته وانتقاد احد حصونه المنتظمة
 بلبته واجتمع له من اصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم ابو الفضل شاهدا لانقراضهم ، سالكا لنهاجم
 والمستمعين قد احضر من الات ايناسه ، واظهر من انواع ذلك واجناسه ، وا راق من حضر موافق
 حسن الروض الانوير والزوارق قد حفت به والثقت بهجوانبه ونغمات الاوتار تحبس اسائر عن عدوه
 وتخرس الطائر المنصع بشدوه ، والسكك تشيرها المكابد ، وتخرس اليها الصايد فتبرز منها للعين
 قضبان در اوسبالك لجين ، والراح لا يطمن لها لمع ولا يهض منها بصير ولا سمع ، والدهر قد
 غطت صروله وامس من منكزه معروفه * فقال :

(١) فلائد العتيان ١١٢ - ١١٣ الفتح المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة زم

لله يوم اتفق واضح الغرر
نسير في زورق صف السفين به
مد الشراع به تشرا على ملك
هو الامام الهمام المستعين حوى
تحوى السفينة منه آية حبها
تثار من مقره الثينان مصعدة
منفضر مذهب الاصال والبكر
بجانبه بهظوم ونشر
بذ الاوائل في ايامه الاخر
علياء مؤتمن في هدى مقتدر
بحرا تجمع حتى صار نبع نهر
صيدا كما ظفر الخواص بالدرر (١)

والامثلة على ذلك كثيرة جدا لا يتسع المقام لذكرها كلها .

(٢) - مناقشة الشعراء ومناظرتهم بعضهم بعضا في وصف الرياض والبساتين حبا بالنافسة والمناظرة لا ميلا الى الطبيعة والتغني بها، كما حدث لصاعد اللغوى وابن المريف النحوى فقد ذكر ابن سعيد "ان دخل ابن المريف النحوى على المنصور بن ابي عامر وهناك صاعد اللغوى بالهندادى فانشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من ابيات (٢) :

فالعامة ترهسى على جميع العائسى
وانت فيها كسيف قد حل في فسادى (٣)

فقام صاعد وكان مناقضا له فقال : اسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه ، هذا الشعر الذى قد اعدده وروى فيه اقدر ان اقول احسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دهوان فاجعل يقو من غير فكرة طويلة (٤) من ابيات منها يصف العامرية :

انظر الى النهر فيها ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا على ذرى الاغضان
والقصب يلتف شكرا بعيس القصبان
والروض يفتخر زهوا من ميم الاقحوان
والترجس الغض يزنو بهجنة النعمان
وراحة الريح تنضا ز نفحة الريحان
ندم مدى الدهر فيها في خبطة واما ن (٥)

٢ - كثيرا ما كانت هذه الاوصاف ترتجل ارتجالا دون ان يفكر الشاعر تفكيرا عميقا فيأتي بمعاني مبتكرة جديدة . فقد حدث مرة ان اجتمع الوزير ابو جعفر الوقيسي ووالد ابن سعيد الاديب المشهور ،

(١)	النسخ	المجلد	الاول	الجزء	الخامس	الطبعة	الجديدة	٢٦٣ - ٢٦٤
(٢)	١٥
(٣)	١٦
(٤)	١٦
(٥)	١٧

فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصفة التمنع والتكلف فجاء في اكثره مشابه الصور والالفاظ وسطحي المعاني بادي الكلفة والتزيق .

وليس لي وقد ذكرت اهم خصائص الشعر الطبيعي الا ان اعرض نماذج مختلفة منه ليستطيع القارى ان يكون له فكرة صادقة عنه وليتحقق من صحة ما ذكرته سابقا كما ولا بد من الاشارة الى ان هذه الشعر وان جاء متشابها في خطوطه الكبرى كما ذكرنا ولكنه بقي يتصف بصفات مميزة تختلف باختلاف قائل هذا الشعر فمنهم من احب الطبيعة في الربا والبانين في جميع مظاهرها ، وفي اى حالة كانت . فالرؤى حسن وجمال وللزهار عير هو نشر الحبيب وصفرة الترجس هي صفرة وجهه

والرؤى حسن نفق عليه	واصرف عنان العوى اليه
اما ترى ترجسا نضيرا	يرنوا اليه بمقلتيه
نشر حبيبي على رءاه	وصفرتين فوق وجنتيه (١)
والرؤى سكران من ماء النعيم	
والرؤى يبعث بالنسيم كأنه	اهداه يضرب لاصطباحك موهدا
سكران من ماء النعيم فكسا	فناه طائره واطرب ردا
ياوى الى زهر كان ميته	رقبا تعقد للاحه مرصدا
زهر يبيع به اخضرار نباته	كالزهر اسرجها الظلام واقدا
وبت في فنن توههم ظله	يمسي ويصبح في القارة مرودا
قد خف موقعه عليه ويسا	سبح النعيم بمطفه فتاودا (٢)
وهنا زمرة من الشعراء لا تروى لهم الطبيعة الا وقد اخضرت رايها واقتربت من ثغور اقاحها	
وانسابت مياها الفضة تصفق تارة وتضحك اخرى ، وفي طيردا على العصون ،	
وحديقة مخضرة اثوابها	في قضبها للطير كل مغرد
والجدول اللقي يضحك ماؤه	فكأنه في المين صلح معند
واذا تجمد بالنسيم حسبه	لما تراه مشبها للمبرد
وتناثرت نقط على حلقه	كالعقد بين مجمع وبيد
وتدحرجت للنافذين كأنها	درنثير في بساط زبرجد (٣)

(١) الملح الجزء الثالث ٨٠ (٢) قلائد العقيان ١٨٢

(٣) النج مجلد اول جزء رابع طبعة جديدة ٢٩٦

وهذه لوحة اخرى تشابه اللوحة الاولى غير ان الشاعر زاد فيها بعض الالوان الجميلة
 والروى مخضر الرى متجمل
 والظير تسجع في الغصون كأنما
 والماء مطر يسيل عباها
 وتجذب الالوان المختلفة من اصفر فاتح وابيض واخضر نظم الشاعر الاندلسي يقول :
 راق العيون اديما فكانه
 ما بين مبيض واصفر فاتح
 يحكي حدائق نرجس في شاطئ
 تحدد قوائم كالجدوع فوقها
 وتفتح حبات الندى على يانع الازهار +
 (١) كلال من فضة وجسمان

سالت تدائنها كالاسطر
 مع يانع الازهار او بمصغرا
 قد طرزت بيد الغمام السطر
 ملك تجلى في بساط اخضر
 يصف النضارة عن جنان الكثر (٢)
 وقراءة كالعشر بين خيلة
 فكانها مشكولة بمندل
 امل بلغناه بهضب حديقة
 فكانه والزهر تاج فوقه
 راق النواظر منه رائق منظر
 كسى العطل الروى وقامت الريح صانحة بفرقت خضر الاخضان وفنت ورق الحمام : -
 وروى كساه العطل وشيا مجددا
 اذا صانحته الريح خلت غصونه
 اذا ما انكأب الماء هابت خلتها
 وان سكنت عنه حسبت صفاء
 وفنت به ورق الحمام بيننا
 فناء ينسبك القصر ومعبدا (٣)
 لقد احب الاندلسيون برؤية الرياض وقد انتثر الطل في رباها فاكثروا وصفها في حالاتها المختلفة
 فهذا شاعر وقد تراءت له روضة جميلة نظمت له ايدى الغمام عفودا وسقمتها بهاء الورود :

طوى لروضة جنة
 نظمت على لهاثها
 لك قد نويت ورودها
 ايدى الغمام مقبولا
 وقت بهاء الورود والصك الفتية صبيدا
 والظير تشدوني الغصون المائتات قسيديدا
 وتمير سمع الصنوبر
 نظمها وشهدا (٤)

(١) فلائد المقيان ٢٠٤ (٢) الاحاطة الجزء الثاني ٢٢٩ (٣) الاحاطة الجزء الثاني ٢٥٤
 (٤) النفع المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٣٥٥ (٥) النفع الجزء الثاني ٣٥٠

وتجلت لآخر عروبل والياء عقودها والقطرات افراحها :

مضى الله ارضا كلها زرت روضها
كساها وحلاها منظر القرط

تَجَلَّتْ عُرُوسًا وَالْبَاءُ مَقُودَهَا وَفِي كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ جَوَانِبِهَا قُرُطٌ (١)

ولم يفهم الاندلسيون بالغمام وسقوط الندى فقط بل اسرى هذا الحب وهذا الغرام الى
الخطائل والازهار التي كانت تتحرق الى ارتشاف ريق الغمام

ونخيلة رقم الزمان اديها بخضر وقسم وشوب

رشت قبیل الصبیح رتی غلامه رشف الحب مرانف المحبوب

وطلعت في اكافها ملك الصبا وقعدت واستوزرت كل ادهب

وَأَدْرَيْتَ فِيهَا الدَّهْرَ كَأْسَ مَدَامَةٍ مَعَ كُلِّ رِضَاخٍ الْجَبِينُ مَهْجُوبٌ (٢)

ولعل هذا الشدق وهذا الحب للغيث يرجع الى مزاياه الطبيعية ونواياه الحسنة، وشعوره العادي نحو الآخرين من أبناء جنسه، وما كانت سحابة قاتمة تحجب شمس الضحى حتى يبكى الغيث لفقدائها

بیم کان صحابه لبنت عامی المامت

عجبت به شمس الضحى بمثال اجنحة الفواخت

فَالْغَيْثُ يَبْكِي فَقَدْ هَا وَالْهَرَقُ يَضْحَكُ مِثْلَ شَامَتِ

والرعد يخاطب فصحا والجو كالبحر من ساك

والروح يسقيه الحيا والنور ينظر مثل باهت

فاشرب ولذ بجنته واطرب فان العرفاء (٣)

وما يدن على شفت الأندلسي بطبيعة بلاد، تعشقه لشعرها وجمالها فهو يرى الكل في راها

جوهرا منشورا ، ومخال الزهر كافيارا ومحسب الترب مسكا ازهر ، بل هي جنة راقصة طروب ،

فتشور السوسن قبل حدود الورود والجدول بمنسل جدلا مطروها كالسيف ز الطير يخطب فوق

الارالك مسرورة مبهجة

والأرض قد لبست رداء أخضرا والظل ينثر في رايها جوهرا

عاجت فخلت الزهر كافترا بها وحسب الشرب فيها مسكا ازفرا

وكان سوسنها يعافج وردھا ثغر يقبل منه خدا احسمرأ

والنهر ما بين الرياض تغاله سيف تعلق في نجاد اخضر

وجرت بصفحتها الرأى فحسبتها فما ينق في الصحيفة اسطرا

وكانه اذا لاح ناصع فضة جعلته كالف الشمس تبرا اصفرا

والعليلا ند نامت به خطباءه و لم تتخذ الا الاراكة منبراً (٤)

(١) النسخ الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣٥٠ (٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣١٣

(۲) " " " " " ۲۸۴ (۴) دیوان ابن بن سہیل الاندلسی ۴۰ - ۴۱

بل ورداذا بلادهم هومن ماء النور

ارسل الجوما ورد رذاذا

فانشى حول اسوق الدوح خجلا

وسى في الفصون حلى بنانا

فترى الزهر يرقم الارض رقما

فكان الجاه سيف سقيل

وتبكي السماء في الاندلس لتضحك الزهر

الى اى يوم بعده يرنج الحمر

وقد صقلت كف الغرالذاتفا

وكم قد هكت عين السماء بدمعها

وما غيهم الا منغل لفة

ونصارانس لوسالفا دهرنا

في فيلة علمت ذكاه غنيهم

والسرحة الغناء قد تهت بها

فكان شكل الغيم منغل لفة

وسع الحزن والدماء رشا

وجرى فوق بردة الروض رشا

اصبحت من كلاله الطل رشا

وترى الريح تنعش الماء نعشا

وكان البطاح عند موشحسى (١)

وللورى تغريد وقد خفق النهر

وفوق متن الروض اريدة خضر

عليها ولو ذاك ما هم الزهر (٢)

يلقي على الاتفاق رطب الجوهـر

في ان يعود بمشله لم يقدر

فتلقت من نجما في مئور

كف النسم على لواء اخضر

يلقي على الاتفاق رطب الجوهـر (٣)

وتدور الايام دورتها وتثور العلاقات ويصبح الحبيب عددا ان كان الغمام يبكي لتبسم

الازهار ماذ به معها في خصام بها جمعا يبيسر البرق وسر السرور بها بنيل من الماء فما كان

من النهر الا ان تدوح تهبنا للبحر واهتوت نيا الشجر مزجرة متعده :

بين الريام وبين الجو محترق ييخر من البرق او سر من السر

وان اوترت نبال قوسها كف السماء رمت نبال من الماء في زحف من الغدر

لاجل ذان اذا هبت ملائعها تذرع النهر واهتوت من الشجر (٤)

واجتمع الوزير ابو بكر بن الفطر والاديب ابوالعباس بن صاره الاندلسيان في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ورقه والارض قد ضحكت لتعبر السماء واهتوت ريت عند نزول الماء فقال ابن

(١) الاحاطة الجزء الاول ١٢٢ (٢) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٨٠

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٢٣ (٤)

(٤) ٣٦٨ " " " " " "

القطرنة :

هذه البسيلة كاعب ابرازها (١)

نقال ابن صارة : وكان هذا الجوفينما عاشق

نقال ابن القطرنة : واذا شكا فالبرق قلب خاني

فاجابه ابن صارة : من اجل ذلة ذا وهرة هذا

وما اجل الطبيعة حين يحنو بعضها على بعض فنبات التبت في احضان النسيم على اهتزاز الطل في مهد الخزامى وسلي السحاب الاخصان فتدعى لتلثم افواه الندى ، ويكحل الفجر لهم اجفان الدجى . ولعل ابلغ ما قيل في هذا الباب قول يحيى ابن هذيل احد اعيان الاندلس :

نام طفل التبت في حجر النعاسي لا اهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الرسي احضان النعاسي فهوت تلثم افواه النسيم
كحل الفجر لهم جفن الدجى وهذا في وجنة الصبح لئلا
تحسب البدر محبا لئلا قد سقته راحة الصبح مسداما
حوله الزهر كوز قد تحسدت مسكة الليل عليهم خستاما (٥)

وتضوع النسيم وضجك الازهار وكاء الغمام وتغليق النهر ورقم الاخصان وفناء الطير من المعاني
الوكرة الطالوة عند شعراء الاندلس :

طفل الماء ولنسيم تضوع والانس ينظم شطنا ويجمع
والزهر يضجك من بكاء غمامة رعت تشيم سيوف برق تلعب
والنهر من طرب يصفى موجه والفصن يرقص والحمامة تسجع (٦)

وانظر الى الشاعر كيف يستعير الفاظه وتشايبه من اللجين والفضة والنصار والذهب والدرر والجوهر
والدراهم والدنانير ليصفى الطبيعة :

اذن الغمام بديمة وقار فامزج لجينا منها بخار
واربع على حكم الربيع باجرع هزج الندى من صفح الاطيار
نشرت بحجر الريف فيها يد الصبا درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بغير يد هنالك ابكسة خفاقة بمهب ربح خسار (٧)

(١)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢١
(٢)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٢
(٣)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٢
(٤)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٢
(٥)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٣
(٦)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٣
(٧)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢٣

(٧) ديوان ابن خناجة ٢٣

وفي هذا النعني قول احد الشعراء :

مرج بمنفوح الكتيب الاغر
بين الفرات وبين شطط الكوشر
ومنها : و الطير تشدو والاراة تثنى
والروض ييم مذهب ومفض
وكانه وكان خفرة شطه
وكان ذاك الحباب فرندة
نهر ييم بحسته من لم ييم

ويعتقد الشاعر ان الطبيعة تستمتع بجمال بعضها بحضرة صفرة الشمس الا من الم فراق الرياض
وما حوته من مناظر جميلة .

ما اصفر وجه الشمس عند قرونها
الا لفرقة حسن نذاك المنظر (٢)

ارأت جفونك مثله من منظر
وجد اول تاراقم حياءها
والطير المفرد على الانعان ولسان البرق الذي يشبه الرداء الذهب هي الفاظ كثيرة ما
يستعملها شعراء الطيرة في شعرهم

بوز كان الغنم يزهى ليمتني
به وكان الطير يشقى فيطرب
قد ارتجز الرعد المزج بافقه
فاملى وجالت راحة البرق تكجب
كان لسان البرق نهم عشيمة
لواء خضيب او رداء مذهب (٤)

ولا ين خفاجه ايضا :

ومائسة تزهى وقد طلح الحيا
عليها حلى حمراء واردية خفرا
يذوب لها ريق النعامة فضسة
وتجمد لي امطافها ذهبا نضرا (٥)

ولا تروق الطبيعة لكثرة من الشعراء الا في الصباح الباكر وقد كاد الليل ان ينقشع وسفر الصبح
من جيش النهار وقد امتلاء الروض بالازهار التي قد انتشرت كالدرهم يوسف النداء كالدرر فوق النوار
والريح تنفخ باكرا قم الرى والطل ينضج الاشجار

وكمامة مطر الصباح قناعها
من صفحة تندى من الازهار
في ابطح رضعت نغور اقاحة
اخلاف كل خامة مدرار

(١)	الاحاطة الجزء الثاني	٢٥٣	(٤)	ديوان ابن خفاجه	٣٥
(٢)	"	٢٥٣	(٥)	"	٣٥
(٣)	"	٢٥٣			

نشرت بحجر الأرض فيه يد الصبا
وقد ارتوى خضن النقا وتقلدت
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك
والريح تنفخ بكرة لهم الرى
منقسم الالفاظ بين محاسن
واراكة سجع الهديل بفرعها
هزت له اعطائها ولربما
وهذا آخر وقد بكر الى الرياض : -

قد ذكرتني يوقف العشاق
بعضا كائناتى الى افانق
وقدا النهار ينوب من احداق
حتى حطت محاسن الاخلاق (٢)

وقال آخر :

الا حبذا روض بكرنا لسدضى
وقد جعلت بين الفصون نسجه
ونحن اذا ما ظلت المقضب ركبا
وفي جنبات الروض للظل ادوع

وكما لا يرون البعوض يرود الرياض والحدائق الا في
في الاصيل وعند المساء ، وحيانا تحت ضوء القمر . وهنا الشمس عند الاصيل وقد احمر الشفق وتلون
العقيق

يا هل ترى اطرف من يومنا
وانطق الورق بعبدا نسا
والشمس لا تشرب خمر الندى
فقد جيد الافق طوق العتيق
مرفضة في قضيب دريــــــــــــــــق
في الارض الا بكؤوس الشنشيقي (٤)

وتترك الشمس سناها فوق نجيبا فوق النهر الاصيل
وقد غشي النبات بخداها
وتد ولت الشمس محشدة
كان سناها على ناسره
كهد والحداد بخدا اصيل
الى الغرب تنزو بطرف كعيل
بقايا نجيب بسيف عسقييل (٥)

(١) ديوان ابن خفاجة ٧٢ (٢) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٨

(٣) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ١٩٨ (٤) ٣٠٠

(٥) ديوان ابن خفاجة ١٠٤

وهنا يدمروا بن الزقاق خليله للذهاب معه عند الاصيل الى شاطئ نهر منساب
في احد الرياض ليستمتع بالسحر والجمال :

دعاك خليل والاصيل كانسه	خليل يقضي مدة الرمي الباقي
الى شط منساب كانك مأوه	صفا ضمير او عذوبة اخلاق
ومهوى جناح للصبا يصح الربا	خفي الخواني والقوام خفاي
على حين راح البرق في الجو مغمدا	ظباء ودمع المزق من جفنه راق
وقد حان في الرياض الثقات	حبست بها كاسي قلبها من الساق
على سطح خبي ذكرك فانشى	يميل باعناق ويرى باحداق
نعل زهرات منه هذا كانها	وقد فضلت فطرا محاجر عساق (١)

وهذا آخر وصف عشية انس

وهي انس اضجعتني نشوة	فيه تمهد مضجعي وتدمت
خلعت علي بهذا الراكه ظلها	والنصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجزع للغروب مريضة	والرعد يرقى والغمامة تنثت
وهنا جلس البعير للشرب والسما تهطل دمعها والبطاح	قد خلع عليها سندسها ودثرها نرجسها
والشمس تنفض على الرى زفراتها والانوار تغض اجفانها	فقال شاعر الحقل :
لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا	والعز يسكب احبانا ونحدر
والارض مصفرة بالعين كاسية	ابصرت تبرا عليه الدر ينتثر (٢)
وجلوس رهط آخر للشرب والبدر قد كمل :	

ولقد شربت الراح بسطح نورها	والليل قد مل الظلام ردا
حتى تبدى البدر في جزائه	ملكنا تناهى بهجة ومسا
لما اراد تنزهها في قوسه	جعل المظلة فوقه الجوز
وتناهضت زهر النجوم بحفه	لاؤها لتشكل الآلا
وترى الكواكب كالمواكب حوله	رفعت عيونها عليه لولا (٣)
وتصبح الطبيعة في نظر بعضهم حينها حية لها جمالها	ولها ريقها ولها نداها وشذاها الطيب
ندى النسيم فما ارق واعطرا	وعلى القضيبيات الغر وانغسرا
فزففتها بكرا اذا قبلتها	القت على وجهي قناعا احبرا

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٥٢ (٢) ديوان ابن خفاجة ٣٥

(٣) قلاند العقيان ١٠٠ (٤)

ورفت بين قيعن غير هلهل ورداء شمس قد تنزق اصفرا
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤها رطبا وتغلق من غمام غميرا (١)
وشبه ابن خفاجة الاراك بالمرآ الحسناء ولا يخرج في وصفها عن غيره من الشعراء فالكؤوس
والنجوم والمدام كلها الفاظ مستعارة تجعل من هذا الوصف وصفا تقليديا .

واراكة ضربت سما فوقنا تتدى وافلاك الكؤوس تدار
صفت بدوحتها مجرة جدول نثرت عليه نجومها الازهار
وكانها وكان جدول مانها حسناء شد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة تجلى ونوار الفصوص نثار
في روضة جنح الدجى ظل بها ونجست نورا بها الانوار
فناء ينشر وشبه البزازلي فيها ويغلق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد نضج الندى وسه الشرى واستيقظ النوار
والما من حلي الحياء مقلد زورت عليه جنبوها الانشجار (٢)

وكثيرا ما كان يخرج الشعراء الى الحدائق والربايع للتمتع بالشراب وكثيرا ما كانوا يصنفون حالهم
ومكانهم ومن جميل ما قيل في وصف هذه المجالس هذه الابيات :

احسب المداومة والتعميم هيل والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد تنبه دامع والنماء مبسم يروق عقيق
وتطلعت من برق كل غمامة في كل افق راية وروميسيل
حتى تهادى كلها خبطة ايكه ربا وضعت تلقه وميسيل
هطفت الاراكة فانثى شكرا له طربا ورجع في المنصون هديل
فالريز مهتز المعاطف نغمه نشوان معطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلي عنه فذهب صفحته امسيل
وارتد ينظر في ثقاب غمامة طرف يعرضه النعاس كلسيل
ساج كما يرنو الى عواده هناك يولمع المزيز ذلسيل (٣)

وللشعراء اخبار كثيرة ونوادير طريفة جدا في هذه المجالس التي كانت تحقد في الربايع والمنتزهات
التي سأتحدث على ذكرها هنا قريبا في باب المنتزهات .

١ - الورد والرياحين

تكلنا من الرياض والحدائق وصف الشعراء لها بصورة عامة والان لنجمل جولة قصيرة في جنات النعيم هذه ولنقف مع الشاعر الاندلسي عند بعض هذه الورد والرياحين نتأملها ونتلذذ بحاسنها ، بل دعونا نخرج معه الى غراس الفاكهة وما حوته من اطيب الازهار والثمار نستمتع بها ونشارك شاعرنا الاندلسي استمتاعه واجابه ولنستمع الى الحانة في وصف هذه الازهار زهرة زهرة وهذه الاثمار ثمرة ثمرة ، ولنبدأ بملك الرياض

الورد :

الورد عند العرب من الرياحين المفضلة بل هو ملك الرياض فقد كان المتوكل يقول
انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا اولى بصاحبه وقال شاعرهم فيه :

للورد عندى محلل لانه لا يفسد
وكل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولم يختلف اهل الاندلس من اهل المشرق في حبهم للرياض والرياحين والازهار فقد احبوا
واولعوا بها ، فقد بلادهم بلاد النواوير والاوراق وقد كان عندهم جهال تعرف به جهال الورد (٢)
والورد عند البعض ملك النواوير ايضا كان سوا اوجد في الشرق او في الغرب فيقول :

الورد احسن ما رات عيني واز كي ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه فتذلت تنقاد وهي شوارد
واذا اتى وقد الريح مبشرا بطلوع وقد فتم الوافد
ليس البشر كالبشر باسمه خبر عليه من النبوة شاهد
واذا تعرى الورد من اوارقه بقيت عوارفه نحن خوالد (٣)

وما يدل على مركز الورد السامي عند الاندلسي انه كان يتهداه الطوك والامراء كاتن الهدايا
وانفسها فقد كان في دار محمد بن السبع شاعر الدولة الحامية وقراء وردة وكان يعدي وردها كل عام
الى طارح الجيوش احمد بن سعيد وحدث ان قاب العارض سنة (٤) فقال ابن السبع في
لسان الوردة :

قال لي الورد وقد لا حظته في روضتيه
وهو قد ائتم طيبا كمع الحسن لدينه
ابن مولاي الذي قد كنت تهديني اليه
قلت قاب العاصم فابن ان ترى بين يديه
فيذا يذلل حتى ظهر الحزن عليه (٥)

وما يلاحظ من الاشعار التي نزلت في الورد ان الاندلسي لم يعرف الا لونا واحدا من الورد هو اللون الاحمر، اذ ان احسانهم لم تنفذ الاوراق الحمراء والاصفر في الوسط كما اكرر ما شبه به الورد خذود الحبيبة الحمراء من الخجل . فقد قال ابووطرق في هدية ورد :

خذها اليك ابا عبد الله فقد جاشتك مثل خذود زائنها الخضر (١)
وقال آخر في وردة ظهرت قبل تاورانها :

وردة وردت في غير موقتها والسحب قد هملت اجفانها مطلا
وابلها الورد لما لم يقد تما بغيره انفتحت في خده خجلا (٢)
وهنا يشبه شاعرنا الورد وقد تسربل بحلة من الشفق وقد قابله الياسمين بحلة صفراء كعاشق وحب

يا حسننها دائرة من ياسمين مشرق
والورد قد قابلهما في حلة من شفق
كعاشق وحبهم تغامزا بالصدق
فاحمر ذا من خجل واصفر ذا من قرق (٣)
وفي المعنى نفسه قال آخر :

يا حسننها دائرة من ياسمين كالخلي
والورد قد قابلهما في حلة من خجسل
كعاشق وحبهم تغامزا بالقبلي
فاحمر ذا من خجسل واصفر ذا من وجسل (٤)

وهيبت ترنجان بورد خجلا حمرا فيصبح كخذود العذارى في معانقها الخضر

ورد جني طالعتنا خذوده بيشر بيشريهتان على الشكر
وحلى ترنجان به فكانه خذود العذارى في معانقها الخضر (٥)

وتراى الورد في الصباح وهو لا يزال برما كهم بالثقل مولكن ما يلبث ان وجبينه حمرا
قد خرجها الحياء بعد ان تركتها الشمس وقد طبع في وسطها قبة صفراء : -

ارى الورد عند الصبح قد مد لي نما

بشيرا لي الثقيل في حالة الشمس

وبعد زوال الشمس القاء وجفة وقد اثرت في وسطها قبة الشمس (٦)

(١)	النفع الجزء الاول ازهرى	١٤٨	(٢)	النفع الجزء الثاني ازهرى	٢٢١
(٣)	" " " "	٢٢١	(٤)	" " " "	٢٢١
(٥)	" " " "	٢٤٠	(٦)	" " " "	٢٢١

وهروق لا آخر الخروج الى الورود في الصباح وقد بللها قطر الندى وكانها الدموع سالت على خد
الورد ولكن ما تلبث ان تجفها نفس الضحى

نوق خد الورد دمع
برداء الشمس الضحى
من حين السحب يذرف
بعد ما سال يجف (١)
ويرى محمد بن عبد الله بن ظاهر في اوراق الورد الحمراء يواقيت وفي الخضراء زمردا
وفي اواسطها ذهب

اما ترى شجرات الورد طالعة
كانها يواقيت يحيط بسا
منها بدائع قد ركن في قضب
زمرد وسطها نقش من الذهب
صب يهلل جا غير مرتعـب
فعار يظهر احيانا من الحجب (٢)
وراما آخر مداهن من يواقيت ركبت على الزهرجد وفي جوفها خالص الذهب :

اما ترى الورد يدمع للورود الى
مداهن من يواقيت مركبة
كانه حين يبدو من مطالعه
خاف الملاك اذا طالت اقامته
ورائحة الورد هي المسك

ودونك يا سيدى ورد
كعدرا ابصرها مبصر
تذكرك المسك انغامها
فغطت باكامها راسها (٤)
وفي خجل الورد قال آخر

فالد يصفر لاستحانه حمدا
والورد يحمر من اهداه خجلا (٥)

-
- (١) النفع الجزء الثاني ازهرى ٢٢١
(٢) حلية الكيـث النواجى ٢٣٨
(٣) الارب النوى الجزء (١١) ١٩٠
(٤) حلية الكيـث النواجى ٢٤٠
(٥) الدولة العبادية الجزء الاول ص ٣٢

الياسمين

لم تثل هذه الزهرة حظوة كبيرة عند الاندلسيين شعراء الاندلسيين ولذلك لم يصفوها كثيرا وما الياسمين في عرفهم الا بساط اخضر يتخلله الجوهر

- يا حبذا الياسمين اذ يزهر فوق قصون رطبة نفسر
قد امتطى للجمال ذروتها فوق بساط من سندس اخضر
كانه والعيون ترفقه زمرد في خلاله جوهر (١)
- قال ابو الحسن حاتم ابن محمد القرطاجي يصف الياسمين
حديقة الياسمين لا تهيم بنيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى تهيم ثغرها البفسق
فاطراق الالهة سا ل في اثائها الشفق (٢)
- وقال المعتد ابن عباد
كانا ياسميننا الغض كواكب في السماء تبيخر
والطرق الحمر في بواطنه كغد هذراء مسه عصف (٣)
- وفيه قال احمد ابن عبد الرحمن القرطبي
ولقاء خلناها سماء زرجد لها انجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا ولم ار من يجني النجوم من الارض (٤)

النرجس

- يعرف عند اهل الاندلس بالبهار وقد شبهه الشعراء بالعين وقد قال الجزيري على
لسان بهار العامرة ابن الضحور
حدق الحسان تغرلي وتغار وتخل في رجلي النهى وتحار
طلعت على قضبي ميون تمانني مثل العيون تحفها الاشعار
واخصني بي اذا شبعته در تنطق ملكه دهنار
انا نرجس كفا حقا بهرت عقولهم ببديع تركبي نقيل بهار (٤)

- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٨ (٢) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٢٢
(٣) النور على جزء ثاني ٢٢٧ (٤) النور جزء ثاني ٢٣٨
(٥) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٧

وشبه الشعراء الاصفر في وسط الزهرة بالتبر، والاوراق البيضاء بانامل من فضة
ركبت على اذرع من زرجد

تأمل فقد شق البهار كائما
مداهن تبرني انامل فضة
واهر من نواره الغضل الندى
على اذرع مخروطة من زرجد (١)

وفي هذا المعنى قال ابو الاصمعيلى بن سید
كانما النرجس في منظر الحسن
الذى امثاله تبسفي
انامل من فضة فوقسه
كاس من التبر به افرسا (٢)

وقال شاعر يصف احدى نزهنا ، ومرنا في احدى نزهنا بمكان مقروء من الحاسن مسفر وفيه برك
نرجس كأنه عيون مراغر، يسيل وسطه ماء ضارر

نرجس باكرت منه روضه
حنت الريح بها غمر حيا
لذ قطع الدر فيه وهذب
وقصر النبت لها ثم شرب
قعدا يسفر عن وجنته
خلت لمع الشمس في مشرقه
نوره الغر ويهتز طرب
لها يحملته منه لهيب
ويباض الطل في صفرة
نقط الفضة في خط الذهب (٣)

وشبه احمد بن احمد الانبيلى النرجس بالعاشق الولهان الذى اضر به لمر السقام
اما ترى النرجس الغر الذكي بدار كأنه عاشق شابت زوائيه
او المحب شكا لما اضره
لوط السقام فعارته حبايبه (٤)

وبعد والنرجس لاهن حداد كاذرع الغيد وقد البست خضر البرود وتجلت فوق اناملها صفر اليواقيت

انظر الى النرجس الوضاح حين بدا
كاذرع الغيد في خضر البرود جلّت
كانه ناظر من عين مهتوت
على اناملها صفر اليواقيت (٥)

وتحول اذرع الغيد عند ابن الجنان الى معاصم تحمل كما من الدر صب فيه الذهب
ونرجس قائم على قضب
كمعصم من زرجد حملت
شخص الحافظة لغير حبسب
كما من الدر فيه جام ذهب (٦)

وشبهه شاعر آخر بياقوتة صفراء حولها ستة درر

انظر الى نرجس في روضة انفا
كان بياقوتة صفراء قد طبعت
فناء قد جمعت شبي من الزهر
في فئنه حولها ستة من الدر
وقال ابن مباد
عمري لقد راي طوفي حسن زاهره
ابدت لنا عجا منها حديقتها
تمس في سندسيات من الورق
هينا من التبر في جفن من الورق (٧)

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣١٢ | (٢) النفع جزء ثاني طبعة ازهرية ٢٨٤ |
| (٣) قلائد القعبان ٢٠٩ | (٤) (١) |
| (٥) حلية الكميث النواجي ٢٣١ | (٦) حلية الكميث النواجي ٢٣٢ |
| (٧) النويرى الجزء الثاني ٢٣٢ | (٨) النويرى الجزء الثاني ٢٣٢ |

الشفقة

ولون الشقيق الاحمر يذكر الشعراء بالدماء و نقال احدهم في خامات زرع بينها شقائق
نعمان هبت عليه ريح

- | | |
|---|--|
| <p>انظر الى الزرع وخاماته
كثايبا تجفل منزومة
بل حمرة الشقيق هي مسروقة من حمرة حدود الملاح في نظرا بن زقاق
زرتها والغمام بجلد نمة
قلت ما ذنبها فقال مجيبا
وقال ابن خفاجة</p> | <p>تحكي وقد مات امام الريح
شقائق النعمان فيها جراح (١)
زهرات تفوق لون الراح
سرق حمرة الحدود الملاح (٢)
جيشا رحيق دونه وحرقي
ما شئت من سهل وذروة نيق
فبكل مرقية لواء شقيق (٣)
وتتراءى الشقائق الممتدة في السهل الخضراء كنيد
نظرت الى حسن الرياض وفيها
فلم ترهني بها كشافات
كما مشطت قيد القيان شعورها</p> |
| <p>جيشا رحيق دونه وحرقي
ما شئت من سهل وذروة نيق
فبكل مرقية لواء شقيق (٣)
جريت دمنه منهن في امين الزهر
تبليها الارواح في القصب الخضير
وقامت لرقص بخلاتها الحمر (٤)</p> | <p>جيشا رحيق دونه وحرقي
ما شئت من سهل وذروة نيق
فبكل مرقية لواء شقيق (٣)
جريت دمنه منهن في امين الزهر
تبليها الارواح في القصب الخضير
وقامت لرقص بخلاتها الحمر (٤)</p> |

(١) قلائد العقيان ٢٢٢ (٢) الفخ الجزء الاول ازهرى ٢٢٢

(٣) ديوان ابن خفاجة ١٥ (٤) ديوان ابن حديد ١٦٢

النيلوفر

النيلوفر بالكسرو يفتح الثناء ومنهم من يقول النيلوفر ومنهم من يفتح الاول وهو ضرب من الراحين ينبت في المياه الراكدة من اصل كالجزر وساقه اطلس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه اوراق وزهر واذا بلغ يسقط من راسه ثمرد احله ينزل اسود .
كثرت البرك والبحيرات في الحدائق والبساتين وفي مساكن الاشراق وقصور الخلفاء واماكن اللؤلؤ فكانت جوامع ملائكة لنمو زهرة النيلوفر التي لا تنبت الا في المياه الراكدة . ولقد جذبت هذه الزهرة البيضاء المنقطة بالاسود ذات الاوراق الخضراء الطافية على وجه المياه افكار الشعراء كثيرا ، هذه الزهرة التي تفتح في الصباح وتنطوي في المساء كأنها عاشق تاذن لحبيبها في النهار بان يتتبع بها وتتبعه عنها في الليل خوف الرقيب

وركة تزهو بنيلوفر	نسيمه يشبه نثر الحبيب
فتح الاجفان في يومه	حتى اذا الشمس دنت للمغيب
اطبق جفنيه على حبه	وفاض في البركة خوف الرقيب (١)
ويجد هذا العلاء في النور لذة اذ لعله في الكرى يهجر من فارقته قد عن قريب	
وركة احيا بها ماؤها	من زهرها كل نبات عجيب
كان ينلونها عاشق	نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدا نجبه	وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه على في الكرى	يهجر من فارقته عن قريب (٢)
ويظهر ان لون النيلوفر المحمر قد ذكره بلون وجهه وما حال الزهر الا كحاله حزين متالم يهجر في ابحر من الدموع	
نيلوفر شكله كشكلي	يهجر في ابحر من الدموع
قد البسته عطفه دروعا	خود لربح الصبا شعوع
يلوح اذ لونه كلوني	من فوق تضاضة هموع
مثل مسامر مذهبات	في حلقات من الدروع (٣)
وطبيب اريج النيلوفر البهيج يحيي النفوس فيدمر شامرا الناظرين الى التمتع بتالق جام الدر الذي احكم في وسطه قصا من السج	

(١) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١ (٢) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١

(٣) النفع الجزء الثانى الطبعة الازهرية ٣٤١

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج وطيب مغبره في الفج والارح
 كانه جام درني تالقه قد احكوا وسطفنا من السيج (١)
 ويحل ابن حمديس الى اللون الاخضر فيذكره النيلوفر بالياقوت الاحمر وقد ضمن شعرا من الزفران
 للنوموا كانا النيلوفر المجتني وقد بدا للعين فوق البنان
 مداهن الياقوت محمرة قد ضمنت شعرا من الزفران (٢)
 وكان من عادة اهل الاندلس ان يجلسوا حول البرك يشربون وطربون يوما كان يزد المكان
 بهجة ازهار النيلوفر البارزة على وجه الماء ولهذا يدعو ابن حمديس طلاب الشراپ قائلا :
 اشرب على بركة نيلوفر محمرة النوار غسغرا
 كانا ازهارها اخرجت السنة النار من الماء (٣)
 والظاهر ان هذه الزهرة كانت حبيبة الى قلوب البعض فالكى باسط يده نحو النيلوفر الندى
 كلنا باسط يده نحو نيلوفر ندى
 كد بايس عسجد قضبها من زيرجد (٤)

المستفاد

يكثر المتنوع في الاندلس على انواع مختلفة ومعرف متدهم بالخيري وهناك نوع
 آخر يعرف بالخام وهذه زهرة جريئة عكس زهرة النيلوفر العجول في عرف الشعراء ، لا
 تطيب الا ليلا للقاء الحبيب ولا تعبق رائحتها الا في الظلام ، فاذا جن الظلام تدهت مع
 الانساء تفتش عن الحبيب

وخيرة بين النسيم وبينهما حدثت اذا جن الظلام مطيب
 تدهت مع الانساء حتى كانا لها خلت استار الظلام حبيب
 وتغنى مع الاصباح حتى كانا طابها لانوار الصباح رقيب (٥)
 وكتب لا احدهم يستهدي منتورا
 لك الخير اتحنني بخير روضة
 اليس اديب الروض يجعل ليله
 ونطوى مع الاصباح منتور نشره
 لانساء عند الهجوم هبوب
 نهارا فيذكر تحته وعظيم
 كما بان من ربح المحب حبيب (٦)

- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٠ (٢) ديوان ابن حمديس ٤٣٦
 (٣) ديوان ابن حمديس ٤ (٤) تاريخ الدولة العبادية دوى ٣٢
 (٥) التويرى الجزء الحادى عشر ١٩٦ (٦) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٢٢

البنفسج

البنفسج احدى الزهور التي احبها العاصرون منذ المنصور حتى آخر هذه السلالة وقد سمي المنصور احدى بناته بهذا الاسم، وحداثي العاصرية كانت ملاهى بهذه الزهرة الناعمة الجميلة . وقد قد قال فيه الجزيري على لسان البنفسج وهي ابنة المنصور العاصري :

شهدت لنوار البنفسج السن من لونه الا حوى ومن اينامه
 بمشابه الشعر الاحم اماره القمر النير الطلق نور شماعة
 ولربما حمد النجيب من الطلى في صام المنصور يوم قزاقته
 فحكاه غير مخالف في لسونه لا في رواحه وطيب طباعه
 وقال احدهم يحسنه

بنفسج جاءك في حين لا حبرى فيه ولا فرط برد
 كانه لما اتينا به مخمس الاثواب باللازورد

السنبل

يشبه الشعرا اوراق هذه الزهرة البيضاء بكؤوس البلور والنفط الصفراء في الوسط بالسنه الذهب .

وسن راقى مرآه ومخبره وجا في امين النظار منظره
 كانه اكؤوس البلور قد صنعت سدسات تعالي الله مظهره
 وبينها السن قد طوقت ذهبها من بينها قائم بالملك يوم ثره
 وهنا يشبهها ابن الابار بالثرها

وسونات ارت من حسننها بدعا ولم يؤل عصر مولانا يرى بدعه
 شبيهة بالثرها في ثالثها وفي ثالثها ثلثاج ملتمعه
 هامت بيضاء تبغي ان تقبلها ناشترة تجتلى مرآه مطلعها
 ثم انشئ بعضها من بعضها قلبا على البدار نوافذ وهي مجتمعه

وتيل دخل المطرف برابي الحيات الشاعر على المنصور في هذه النية فوقف على روضة فيها ثلاث سونات اتان، قد فتحتا راحدة لم تفتح بعد فقال :

(١) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٢٨ (٢) حلية الكميث ٢٤٦

(٢) " " " " ٣١٢

(٣) " " " " ٣٤١

وهنا يقول آخر في وصف نوار الكتان : وقد ازهر على جانبي الخليج :

من جانيه باجفان لها حديق	انظر الى النهر والكتان يرمى
لقابلته باحداني لها ارقى	رانه سيفا عليه للعبا شطرب
حتى مدت حلقا من فوقها حلق	واصبحت لي يد الارواح تنسجها
(١) او عند صلوته ان كنت تفتيق	فلم تزرها ووجه الارض مصطب

ويرحب آخر بزهر اللازورد فيقول :

في روضة الكتان تعطفه العسا	اهلا بزهر اللازورد ومرحبا
(٢) وكشفت من ساقى كما فعلت سها	لو كنت ذا جمل لخلتك لجة

(١) النسخ الجزء الاول الطبعة الازهرية ص ٤٩

(٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٧

٢ - فرا من النساكة ومساها

”قيل خير اقدم بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مراکش

ليشغل منصب الوزارة هناك، فاجاب * وبعد فكيف افارق الاندلس؟ وقد علم سيدي انها جنة الدنيا بما حباها الله من اعتدال الميزان وهدوء الماء وكثافة الانباء .

”هي الارض لا ورد لديها مكر ولا ظل مقصور ولا روض مجدب“

افق صغیر، وسطا، مرجع، ہوا، مائع و طائر مترنم ہوہوا، ہلیل و کیف بعدل الادیب عن ارض علی

هذه الصلة * (١) . إن هذه البلاد الطيبة التي تشبه موريا بسائرها الصافية وأرضها الجميلة .

واليمن بظيب الجو وسنه والمند باطيارها زهرها ، وحر بخصبها ، ذات الانهار الكبيرة والمياه

العذبة الخيزرة والتربة المصب (٢) كانت موطناً كريماً لنحو الانسجار والمزروعات على مختلف انواعها

فنبهت ليهما اطبيب الثمار المختلفة واحسن الصهوب والحفريات ، ولا يجب ان ننسى فضل العرب

في تحيين الزراعة وما فعلوه بعد ان الما بغوامس الزراعة وجعلوا فلاحه الارض علما قائما بذاته

كما درسوا ملائحة المحقق والتربة لمختلف انواع الفاكهة والنباتات • وهدى الاجبان للمغرب بادخال

زراعة الارز وقصب السكر والقطن والزعفران والاسيخيا ومختلف انواع النخلة الى اسبانيا ،

ومنها اخذ العرب هذه الغزوات (٢) .

• كذلك اشغل العرب موقع كل منطقة وزرعوا فيها الضرورات الملازمة لأحراش

النخيل في بلاد بنسنة، والأرز في البوهران والقصب السكر والقطن في أوليفيا وكندية، وكانت الكرم

تبدوا من ابدع وا تقع عليه العين في شرس وغرابة ومالقة بينما كانت اراضي اشيلية والقسم

الاعظم من اندلسيا مزروعة بالزيتون ، وقد اقيمت في كافة البلاد القناطر الكبيرة وحفرت الترع والمصارف

العديدة لاستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية * (١).

وكان للخلفاء والأمراء اليد الطولى في العمل على انعاش هذا الفن

وإنما هذه وخاصه الخلفاء الامويون فجلبوا نوى الفواكه المنتارة من اقاصى البلاد وغرسوها وسموها

بين الناس كما فعل عهد الرحمن والداخل بن معاوية حين انتهى قصر الرسافة لنزهه وسقائه كما

مر معنا هورحاً الجنان الواسعة ونقل ايها غرائب الخرويس واكام السجبر من كل ناحية، كما وارسل الرسل

الى بلاد الشام لجلب النوى المختارة والحبوب الغريبة وزرعها في جنائن القصر، ومدة قصيرة

نعت اشجار ملتفة الاضراس كثيفة الاوراق جاءت بهغرائب الفوائده ومن ثم تم عمومها في سائر انحاء

الاندلس •

(۱) مؤتمر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي امير سيد علي ۲۸۳

(1)

(٣) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٢ - ٣٤

وهكذا أصبحت الاندلس اسعد بلاد الله بكثرة الثمار واصناف الفواكه كما جاء في النفع
 " يوجد في سواحلها قصب السكر والعوز ولا يعدم فيها الا الثمر ، ولها من انواع الفاكهة ما
 يعدم في غيرها او يحل كالتين القوطي والتين السرى باشيلىة . قال ابن سعيده وهذان صنفان
 لم ترعيني لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالحى والزبيب المنكى والزبيب
 الحلى والرمان السرى والخوخ واللوز والجوز وغير ذلك مما يطول ذكره (١) . واختصت كل ناحية
 من نواحي الاندلس بفاكهتها الخاصة فقد اشتهر اهل جليانة من اعمال غرناطة باعطاءهم بالفتح
 المعروف بالجلياني المشهور بمظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذلك الرائحة والنقا (٢)
 وهناك نوع يفوق الجلياني حجما يكثر في مدينة شنترة من اعمال المرية كان يمدى للملوك والامراء (٣)
 وكانت مدينة سرقسطة اطيب البلدان بقعة واكثرها نعمة لكثرة الفواكه في بساتينهم حتى لا يقوم ثمنها
 بموتة نقلها لرخصها يتخذونها مرجينا يدمنون بها ارضهم . وهذه المدينة على قمة انهار
 متصلة الجنان والبساتين واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن ومن فاكهتها العنب والتين و
 والخوخ وحب الملوك والتفاح والاحاص ، ومن حبوبها القمح والفول والسمس (٤) . وفي لقنة فواكه
 ويقل كثيرتين واعناب (٥) . واشتهرت لوزة بالزيتون ويقال ان في احدى نواحيها موضع معروف
 من اراد ان يتخذ فيه جنانا صرف الى الموضع العناية بالتدبير والعمارة والسقي من النهر
 فتنبت خصيبة (٦) . وفيه مبانة قرب رادى آس جامعة عظيمة كثيرة الكرم والتوت والبساتين وضروب
 الثمار وكان بها طراز الديهاج والنباه تطرده في جميع جناتها (٧) .
 وتسمى " تدير " بابستان لكثرة جناتها المحيطة بها (٨) . ونبت في بلنسية
 الزطران بها كثرى تسمى الورد ، في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاه الرائحة اذا
 دخل دارا عرف برائحته (٩)

- | | |
|---|--|
| (١) النفع الطيب المجلد الاول الجزء الاول ٦٦ | (٢) النفع الجزء الاول طبعة يولاق ٧٤ |
| (٣) النفع الجزء الاول طبعة يولاق ٨٠ | (٤) الروس السطار الحميرى ٩٨ |
| (٥) الحميرى " المجلد الاول ١٧٠ | (٦) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٦ |
| (٧) الحميرى ١٤٤ | (٨) " " " " ٣٢١ |
| (٩) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٢٢ | |

اما فاكهة العرمة فيقتصر عنها الوصف حسنا (١) وطول وادبها ارمون صلا

في مثلها فيها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مفردة (٢) ويحصن تنشي على مرحلة من العرمة التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز . (٣)

ويحصن بيشتري وما حوله كثير المياه والاشجار والثمار والكرام وشجر الزيتون والتين

واصناف الفواكه (٤) . ويحيط بمدينة شلطيخ رياض واسعة واراض عذبة وبساتين حسنة فيها اطيب

المنوبر ، وفيها مراعي خصبة الارض هناك شجر التفاح والكثير من التين واللوز وضروب الفواكه (٥)

وتشير لورقه باللاتيني الزرع الغصيب (٦) . ومربط كثير الزيتون والشجر والاعناب واصناف الثمار

وتلقب "شودرا" بخديرات الزيت لكثرة زياتيتها (٧) . واشتهرت مرسية بالتين وهي رخيصة الفواكه

كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمار (٨) .

وجود الموز وقصب السكر في شلوبينية (٩) . ومالقة التين الذي يضرب المثل

بحسنه ويجلب حتى للهند وقيل انه ليس في الدنيا مثله وقد ذكره الشعراء كثيرا (١٠) .

وفي مالقة اشجار النارج البديعة (١١) وهي كثيرة الخيرات والفواكه وقال احد الادباء " رايت

العنب يباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدل درهم صغير وروانها المرسي الباقوتي لا نظير له

في الدنيا وماما التين واللوز فيجلبان منها ومن اجوارها الى بلاد المشرق والمغرب (١٢)

وفي طليطلة بساتين محدقة وانهار مخترة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعم والالوان

في جميع جهاتها وقراها ، ويؤمن ما عذبة تصلح بها الالبان والقطاني (١٣) .

وجود القطن والمصفر بارض اشبيلية ومالقة وتقبلي هذه المدينة يوجد بساتين

تعرف بجنان الصلي وفيها قصب السكر (١٤) وكثير فيها الزيت والزيتون وهي كبيرة عامرة لها

اسوار مجصنة واسواقها عامرة وخلقها كثير واهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به الى

المشرق والمغرب برا وبحرا فيجتمع هذا الزيت من الشرق وهو مسافة اربعين ميلا كلها في ظل

شجر الزيتون والتين ماوله مدينة اشبيلية وآخره مدينة لبله (١٥) .

(١) النفع مجلد اول جز اول ٣١٨	(٢) النفع مجلد اول جز اول ٣١٨
(٣) " " " " " " ٣٢٠	(٤) الحميري ٣٢
(٥) الحميري ١٧٢ - ١٧١	(٦) " " " " " " ١٧٢ - ١٧١
(٧) " " " " " " ١٨١ - ١١٧	(٨) " " " " " " ١٨٣ - ١٨١
(٩) الحميري ٨١ - ١٨٣	(١٠ و ١١) الحميري ١١١ و ١١٣
(١٢) المقرئ المجلد الاول الجز اول ٢٩٨	(١٣) المقرئ مجلد اول جز اول ٢٩٩
(١٤) " " " " " " ٣٠٠	(١٥) الحميري ١١١
(١٦) الحميري ٢١	(١٧) " " " " " " ١١

ومن خواص مدينة شنترة القمح والشعير يزرعان فيها ومحمدان عند ضي اربعين يوما من زراعتهم ، ان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر وجاء في التفاح ان ابا عبد الله الهاكوري قال " ابحرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على راسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة اشبار (١) ومدينة لارده مخصصة بكثرة الكتان وطيبه يتجهز بالكتان الى جميع نواحي الثغور (٢) . اما فحص البيرة فهو من اطيب البقاغ نفعه واكبر الارضين تربة " ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الغبيص ولا تعلم شجرة تستعمل وتستعمل الا وهي انجب شي " في هذا الفحص وما من فاكهة توصف وتستظرف الا هناك وجود فيها ما لا يوجد الا بالساغل من اللوز والقصب السكر وما اشبههما ، وحرير فحص البيرة هو الذي ينتشر في البلاد ومعهم في الافاق وكان هذا الفحص يروى جيده على كان النيل (٣) . وكانوا يجففون هذه الفاكهة ويحفظونها لوقت الحاجة " فقد كانت فواكههم الياسة عامة العام متعددة يدخلون العنب سليما من الفساد الى شطر العام الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسط والبوط والجوز واللوز الى غير ذلك ما لا ينفذ ولا ينقطع الا مدة في الفصل الذي يزهد في استعماله " (٤) . وقد وصف شعرا " ونا الفاكهة والشار بانواعها كما انهم اطاروا الباقلاء والخضروات ونباتات الكتان والحرير والقطن شيئا من التفاتهم وفذكروها في اشعارهم وساتكلم باختصار من هذه الشار وكيف وصفوها مثله من كل نوع ببعض الابيات لا عطي القارئ نظرة سريعة واضحة من شار الاندلس واثرها في نفس الشاعر الاندلسي .

النارنج

احب الاندلسيون هذه الشجرة باوراقها الخضراء وازهارها وثمارها الصفراء المائلة الى الحمرة وكثيرا ما كانوا يجلسون تحتها يشربون ويظنون الشعر وكماداتهم في قرض الشعر كان من واجبهم ان يصفوا المكان الذي هم فيه فقال ابن خفاجة يصف شجرة نارنج يصف الشرب تحتها :

انهم فقد هبت النعاس	ونبتت ربحها الخزامى
ومل الى امكة بلبل	يهفوا هتزازا بها قدامي
تعثر اعطافها القوافي	لها واكوابها الندامى
كان انا بها روما	تحضن من شربها يتامى (٥)

(١) التفاح المجلد الاول الجزء الاول ٣٢٠ (٢) الحميرى ١٦٨

(٣) الحميرى ٢٤ (٤) الاحاطة ٣٧

(٥) ابن خفاجة الديوان ١١٢

وقال ابن خنجاه ايها في وصف شجرة نارنج وقد خطب الطير على اقصائها اللدنة طربا مؤدا
وانتصب الماء سرورا وبانت زرجد انصرت بالذهب :

الا انصح الطير حتي خطب	وخف له الغصن حتي اضطرب
فعل طربا بين ظل ههنا	رطيب وما هناك انتصب
وجل في الحديقة اخت المنى	ودن بالمدامة ام الطرب
وحاملة من بنات السفنا	اما ليد تحمل خضر العذب
تنوب مورقة من مزار	وتضحك زاهرة من شنب
وتتدى بها في مهب الصبا	زرجدة انصرت بالذهب
فناج انفاسها تارة	وطورا تغازلها من كسب
فتبسم في حالة من رخصا	وتتظر اونه من ففسب (١)

وتسأل ابن سارة فيما اذا كانت تمار النارنج حمرا على الاقصان ام حدود ابرزتها العوادج
وهل اقصانها فطب تتنت ام حدود نواهم واخيرا يهتدى اليها فيجدها كرات طبق في فصوص
زرجد و بل هي حدود في نظره ونوافج :

احمر على الاقصان اهدى نضارة	بهام حدود ابرزتها العوادج
وفطب تتنت ام حدود نواهم	اعالج من وجد بها ما اعالج
ارى شجر النارنج اهدى لنا جنى	كقطر دموع خرجتها اللواصج
جوامد لو ذاهبت لكنت مدامسة	تصوغ البرى فيها الاكف البواج

- كرات حقيق في حصون زبرجد بكف نسيم الريح منها صوالج
تقبلها طورا وطورا تشمها نهن خدود بيننا ونوائج
- (١) نهي صيوتي الا تصيح الى النهي مروس من الدنيا عليها دمالج
- ويظهر ان هذه الشجرة قد اصبحت ابن صارة والخفاجي فقال ليها ابن صارة :
- يا رب نارنجة يلمو النديم بها كانها كرة من احمر الذهب
(٢) او جذوة حملتها كف صاحبها لكنا جذوة معدومة اللهب
- فقال الخفاجي وقد شبه الشجرة بحسناء تميم يارديّة خضراء وقد خلع عليها الحياء حلي حمراء
- ومياسة تزمو وقد خلع الحياء عليها حلي حمراء وارديّة خضراء
(٣) يذوب بها ريق الغمامة نضة صجد في اعطافها ذهبها نغراء
- فاجاب ابن صارة :
- ونارنجة لم يدع حسنها لعيني في غيرها مذهبها
(٤) فطورا اري ذهبها وضربا وطورا اري سفنا مذهبها
- وهنا يلحق الفرج ايكة فيترك على ارجائها اثر :
- وبت ايكة دنا من لشما قزح فغار منه من ارجائها اثر
يبعدو لعينك منها منظر عجب زبرجد ونضار صاعه المطر
كان موسى نبي الله اقبه نارا وجرعليها كفه الأخضر
(٥) وشبه ابو الحسن الصقلي الغصون بالقودود والشار بالخدود :
- تعم بنارنجة الكجتي لقد حضر السعد لنا حضر
نبا مرحبا بقودود المعصون نبا مرحبا بخدود الشجر
كان السوا همت بالنضار فصافت لها الارض منها آكر
(٦) وتبدو حبات النارج لاي الحسن الصقلي ككرات ذهب في صولجان زمر
- ونارنجة بين الرياض نظرتها على حصن رطب كقامة افيد
واذا ملتها الريح مالت كاكرة بدت ذهبها في صولجان زمر
(٧) من هذه الامثلة القليلة نجد ان صور الشعراء لم تختلف في وصف هذه الفاكهة فهي كرات ذهب ونضار وقطع جمر ملقحة حمراء في اوراق زبرجد وزمر على اخصان تنثني كقوام الفيد
- وقال احدهم في ليمونة وقد اهدت اليه
- اهدي الي هروضة ليمونة وشار بالتشبه فعل السيد
نصمت حينما ثم قلت كجلجل من نضة تعلوه صفرة مسجد
(٨)

الرمسان

ولانتشار الرمان في الاندلس اسطورة لطيفة . قيل عندما ارسل عبد الرحمن الداخل رسوله الى الشام لاحضار اخته الى الاندلس جلب معه طرائف من رمان الرصافة الضوية الى هشام فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله بهايا به وكان فيما بينهم وبينهم حضر منهم عبد سطر بن يزيد الكلابي من جند الاردن فاخذ من ذلك الرمان جزءا فسار به الى قرية بكورة به ، فعالج عجمه واحتال لغربه وقذائه وتنقلبه حتى طلع شجرا اشمر وايمن فتزع الى عرفه واغرب في حننه . واحضر بعرض ثماره الى عبد الرحمن فاذا به هو اشبه شي بذلك الرماني فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرج استبطاه واستنهل همته وشكر منعه واجزه صلته واغترس منه يميننا للرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوحه واستوسع الناس في فرائسه وصار يعرف منذ ذلك الحين بالرمان السفري وهو ممتاز بمذاقه الطعم ورقة العجم وفزارة الماء وحسن الصورة (١) وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر في ابيات كتب بها الى بعض من اهداه له :

ولا بهمة عدنا احمررا	اتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حق لطيف	تضمن مرجانه الاحمررا
حبوبا تكتل لتات الحبيب	لا رضاها اذا شئت او منظررا
وللسفر تعزى وما سافرت	فتشكر التي او تقاس الشورى (٢)

وشبه آخر حبات الرمان باسنان اللبث المخرجة بالدم :

وساكنة في ظلال الغصون	بروض يروك افئسانه
تضاحك اشراها به اذا	فدا الجوتد مع اجسافانه
كما فتح اللبث ناه وقسد	تضج بالدم اسنانه (٣)

وقال ابن نزار الوادي اشبي نيسه :

ورمانة قد نشر عندها ختامها	حبيب اطارا البدر بعرض صفاته
فكسر منها نهد هذرا كاعب	وناولني منها شبيه لذاته (٤)

(١) النفع الجزء الرابع طبعنازهية ٤١ (٢) النفع الجزء الرابع طبعنازهية ١٤٦

(٣) النفع الجزء الثاني طبعنازهية ٣٤١ (٤) الثاني * ازهية ٣٤١

وتربي صبية بحبات يندق الى ابن رافع فتقع عليه كمثل الججل او كرة قد تلت

من صندل

جلوزة من كف ظبي غزل ربي بها نحوي كمثل ججل
او كرة قد تلت من صندل تكسر عن حبر لم تغزل
حمرة فوق يافى محتلى من حسنها المستظرف المستكل

في مطعم الشهد وعرف الصندل (١)

وقال ابو بكر بن القرطبية يشبه الفتق بالصدف الابيض فيه جوهر اخضر :

صدف ابيض نقي ذو بها دوسق
صفر من جوهر اخضر فيه مطسق

كل صبح يعوى الى لونه قيل فتقسي (٢)

اما الصنوبر فيشبه ابن رافع بجناح المنبر

يا حسنه في العين من صنوبر يحكي لنا جاجنا من صنوبر
يفلق عن حب اذا لم يكسر صندل ان شئت او معصر

كبل اصداف نفيس الجوهر (٣)

اما القسم الثاني فيحتوي على الناكدة التي لها نوى ولكنه لا يؤكل منها :

الرطب والتروقد قال محمد ابن شرف القبرواني يشبهها بترايت العقيق تمتع بالنضار

ومطبخ بنخير عقيد نار مزمت على جناح باهتكار
ترايت تهدت من عقيق قد تمتع بنفسفسار
تري لصنا جوهرها نواها كالسنة العماير الصغار (٤)

وقال في التمر

اما ترى التمر يحكي في الحسن للنضار
مخازنا من عقيق قد تمتع بنضار
كانا زعفران فيه مع الشهد جباري
يشف مثل كؤوس مطوة من عسقار (٥)

(١)	النوهرى الجزء الحادى عشر	١٢	(٢)	النوهرى الجزء الحادى عشر	١٥
(٣)	" " " "	١١	(٤)	" " " "	١٢٨
(٥)	" " " "	١٢٨			

وبعد الزمرور لابن رافع جلاجل مخضوة او كرات عقيق :

كانا الزمرور لما بدا في حسن تقدير ومراى انيق
جلاجل مخضوة عندما او خرزات خرطت من عقيق
مضوع من رياء اما هنا به تسم الريح مسك فتقيق (١)
وقال ايضا : انظر الى زمرورنا النعموت نكته كالعنبر الفتوت

كانه في الوصف والنعموت بنادق من احمر الباقوت (٢)

وستهوى الخوخ في اثوابه المخملية انظار ابن القرطبة فيفسول :

وطيب الريق عذب آب في آب وزار مشتلا في زى اعراب
في مخمل الثوب لم تحمل براسته بين النواكه من نقر ولا عاب
خالسته نظرى لاحمر من خجل ثم انتنى معرضا عني كسرتاب
من اسماء فيه قلوبا ومبتدئا ارى على اللوزني شطرين جليا ب (٣)

وقال ايضا يشبهه بهجنة فادة خافت الرقيب ففطت وجهها بحمر البنسان :

ونبت ندى مخططة الاعالي بحمر كلون الارجسوان
كوجنة فادة خانت رقبيا ففطتها بحمر البنسان (٤)

وما وصف به القراسيا ، وتعرف في الاندلس بحب الملوك :

ودج تهدل اشطانه رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
لما احمر منه نصوس عقيق وما اسود منه عيون السبا (٥)

واما الشمس فقد قال ليه احدهم يشبهه بجلاجل لبذهيب

كانا الشمس لما بدت اشجاره وهو بها يلتهب
خمر قباب الملك خفت بها جلاجل مقولة من ذهب (٦)

ويجذب لون العناب الاحمر انظار الشعراء فهو تارة وجنات معشوق حراء ، واخرى خرزات

عقيق احب بعناق بدا انيق كمثل لون وجنة المعشوق
او خرز لمت من العقيق او كقلوب الطير في التحقيق
جاءت بها شغواء راس نيق كانا اشتق من الشقيق
او كان يستقى بجنى الرحيق احلى من السكر في الحلق
في نكهة العنبر والخلق (٧)

(١)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٣٧	(٢)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٣٨
(٣)	" " " " "	١٤٠	(٤)	" " " " "	١٤٠
(٥)	الفتح الجزء الثانى طبعة ازهرية	٢٤١	(٦)	" " " " "	١٤١
(٧)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٤٣			

وتتدلى اثمار العناب على اشجاره كاقراط الياقوت

كأنما العناب في دوحه
لما تنهى حسنه واستقم
اقراط ياقوت تهتد لسنا
ارامل قد طرفت بالعم (١)

بقي علينا الان الباب الثالث وهو الذي ليس لثمره قشر ولا نوى وهو يحتوى على العنب والتين والتوت والتفاح والسفرجل والكشرى والاتيح وقد وصفها الشعراء باشكالها المختلفة ولم تعد اوصافهم الشكل والرائحة واللون . وساكفي بتقديم امثلة قليلة على بعض هذه الشار لتتكون لدينا صورة عامة عنها ونظرة الشعراء اليها . ولنجعل العنب اولها وقد وصفها الشعراء كثيرا واهتموا بها لان منها يستخرج الخمر

العنب

قال ابن زيدون وقد اهداء :

قد بعثناه ينفع الاضاء
حين يجلو بلطفه السحناء
جاء يزهز يستشف رقيق
خدع العين رقة وصفاء
تنفذ العين منه في طرف نور
ملأته ايدى الشمس ضياء
اكسبه الايام برد هوا
فهو جسم قد صبغ نارا وصا
مختر يهيج القلوب وطعم
يسكر النفس بشده استمراء (٢)

واما في التين فقد قال ابن خفاجة ويظهر انه كان تينا اسود

وسود الوجوه كلون الصدور
تبسم تحت هبوب الغمش
اذا ما تعلو بياض الضحى
تظلمن في وجهه كالشمس
كانى الطف منه ضحى
قدى صفار بنات الحبس (٣)

ولما كان للتين عشاق كان له مفضون ايضا فقد قال ابن شرف القيرواني يذمه :

لا مرحبا بالتين لما اتى
يسحب كالليل عليه وشاح
منق الجلباب يحكي لنا
هامة زنجي عليها جراح (٤)

(١) النهرى الجزء الحادى عشر ١٤٢

(٢) النهرى الجزء الحادى عشر ١٤٢

(٣) " " " " " (٤)

(٢) " " " " " ١٥٩

ولا يذكر اللون الاحمر الا بالجراح

- انظر الى ثوب الجنان الذي يحكي جراحا دمهيا سائل
وانى به الناطور في جسم
(١) لدى جسم من بلي حسام
- وقد قال بعض الاندلسيين وقد اهداء
فاهديته غنا حكي صدق المها
لغة منظر بالبحسن منه يروق
(٢) وذا الاحمرار اللون منه عقيق

الثفاح

كثر الثفاح في الاندلس كما راينا وقد كان يتهداه الخلفاء والامراء وطامة الناس
وقد قال احد الشعراء في هدية ثفاح نصفها احمر والنصف الثاني اصفر وقد شبهها شاعرنا بخدود
حمر بعضها وجل الثراق

- خدود حممر واقينا صبا
وعدن على ارتطاف واحتراق
فحمر بعضها فجعل التلاقي
(٣) وصف بعضها وجل الثراق

وقال صفوان ابن ادريس يصف ثفاحه في ما
ولم ارقبها تشتهي الدين مشقرا
ببيض عليها ما ودا فكانت لها
بقية غدا في اخضرار عذار
(٤) كثفاحه في بركة بقرار

وقال ابن زيدون وقد اهدى ثفاحا ولم يختلف معناه وتشبيهه عن سبقه فيحمر الثفاح كوجه الحبيب
خجلا وصفر وجلا

- انتك بلون الحبيب الخجول
تخالط لون الحب الوجول
تطرت ضمن ادراكها
هوا احاط بها معتدل
تاتي لتدريج تلطفها
فمن حرس الى بود ظل
الى ان تناهت شفاء العليل
وانس الخليل ولهو الغزل
نلو نحمد الراح لم يهدا
وان هي ذابت فراح يجل
فبولكها نعمة غفيرة
(٥) ونزل بما جنته مستهل

وتختلف الصور عند ابن سعيد فهي تارة حسنة جاءت في حلة بيضاء مشرقة في حمرة كالثفاح النار
وطورا حمرة مزجت بالما ، او نصف لؤلؤة اتصلت بها قوطة حمراء

- (١) التويرى الجزء الحادى عشر ١٦٢ (٢) التويرى الجزء الحادى عشر ١٦٢
(٣) قلائد العقيان ١٤٢ (٤) الثفاح الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٥٩
(٥) نهاية الارب الجزء الحادى عشر ١٦٥

- بدیعة اللون من نور السرور بها في كل حسن وطيب يضرب المثل
جاءتك في حلة بيضاء مشرقة في حمرة كاتقاد النار تشتعل
او قهوة مزجت او نصف لؤلؤة بنصف ياقوتة حمراء تتصل (١)

- واشتهر تفاع الاندلس بحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء فقال احدهم يصف اريج التفاع
مجال العين في ورد الخدود يذكر طيب بنات الخلسود
وأرجة من التفاع تسرهم بطيب النضر والحنن الفريد
اقول لها فاضحت الميك طيبها فقلت لي بطيب ابي الوليد (٢)

المسفرجل

جمعت المسفرجلة في نسخة نظر الشاعر الاندلسي اربعة صفات جميلة

- مسفرجلة جمعت ارسما نظمن لها كل معنى محسب
صفاء انضار وطعم المقار ولون المحب وريح الحبيب (٣)
وتتراءى المسفرجلة لاغر كحشا تختال في ثوب صنع من السندس وقد تعطرت بمسك ذكي
ويذكره لونها الاصفر بلون محب الذي قد تسمى بحلة من السقم
ومسفرة تختال في ثوب سندس وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ریح محبوب وقبوة قلبه ولن محب حلة السقم قد كسي (٤)

من هذه الفاكهة الاجامير فقال ابن بطلال الاندلسي يعنفه

- بعثت ما يندر لكشمه في وصفه الناصت لم يجسر
جيشا من الزنج ولكنه جيش متى يلقي العدا تيقهر
ينفي لك الصغراء مهزومة والزنج اعداء بني الاصفر (٥)
ولقد وصف الشمره نمر الاتيج وقد احبها لونها الاصفر ورائحتها الذكية فقال علي بن سعيد

الاندلسي

- ومسفرة اللون لا من هوى تكايد منه علاقات هم
ولكن كساها سمع العجير جلايب تهر بتضريح دم
واكسبها طيب نضر العبير وريح الحبيب اذا ما يشم
عروس ترف الى شاهها على كف اخمد مثل الصنم (٦)
ولعل اجل ما قيل في وصف هذه الشرة قول ابو بكر بن القرطبية حين قال يصفها
جسم من النور في ثوب من النار كانه ذهب من فوق بلار
وابغى باطنه واصغر ظاهره كانه درهم من تحت دينار (٧)

(١) النويري جزء ١١ من ١٦٦ (٢) التفاع جزء (٢) ازهرى ٣٥٠ (٣) النويري جزء حادي عشر ١٢٠
(٤) : : : : : (٥) النويري جزء (١١) ١٢٦ (٦) : : : : : ١٨١
(٧) : : : : : ١٨٣

ولم يكف الشعراء بوصف الشجار فقط بل تعرضوا الى وصف الاشجار . قال ابن خفاجة يصف شجرة مشورة :

يا رب مائة المعاطف تزدهي	من كل صن خائف يوشاح
ممتدة يرتج من اعطافها	ما شئت من كل يمح رواح
نفخت ذوائبها الرياح عشية	فتلكتها هزة المراتح
حط الريح قناعها عن مفرق	شمط كما ترد كاس السراج
لقاء حاك لها الغمام ملاءة	لبست بها حسنا قميص صباح
نخج القدي نوارها فكانما	صحت معاطفها يمين سطح
ولوى الخليج هناك صفحة معرض	لثمت سوافها تغور اقحاح

(١)

وقال ابن خفاجة ايضا :

وسرحة خاض منها ظلها نهرا	اوقت عليه فلم تنقص ولم تزد
كما تدانبت من ثغر لمرشف	ثم انتبعت فلم تصدر ولم ترد
كان افتانها طيب حتى ملك	اغضى واعطى فلم يهود ولم يحد

(٢)

وقال آخر يخاطب شجر السرو

ايما سرو لا يعطش منابتك الحيا	ولا يذعن اعطافك الخضرا النضر
نقد كسيت منك الجذوع بمثل ما	تلف على الخطى راياته الخضر

(٣)

وهناك امثلة كثيرة في وصف الاشجار ولكني ساكتني بهذا القدر القليل في الوقت الحاضر .

(١) ديوان ابن خفاجة ٣١ (٢) ديوان ابن خفاجة ٤٣ ٤٦

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

كثرت الحدائق والرياض في الاندلس كما تقدم حيث كان يخرج اليها الناس
ليتسامروا ويتجاذبون اطراف الحديث بقرب جدول ماء وتحت ظلال الاسجار ، ويرجع الفضل في
ازدهار هذه الرياض وانتشار هذه المنتزهات الجميلة الى الخلفاء والامراء الذين اظهروا ولغا
ولما خاصا في هذه الناحية فشيّدوا القصور الفخمة تحيط بها الجنائن والحدائق الرائعة وبها
المنتزهات الخاصة والغامة كما ابتنى عبد الرحمن الناصر ^ققصر الرصافة ومنتزهاته (١) حاذيا حذو
رصافة جده بارض الشام وقد كان ^ققرا حسنا تحيط به اندر الازهار واثمن الانوار وقد كان كثير
التردد اليه يسكنه اكثر اوقاته . وكما فعل الناصر (٢) ببنائه لمدينة الزهراء للتنزه والسكن وكانت
بمنابة منتزه يومه الناس للتنزه والترويح عن النفس . والزاهرة تشهد على عظمة المنصور ابن عامر
حينما " سما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر يمتلئ فيه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة
الموصوفة بالقصور الباهرة واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم (٣) " واطلق بساحتها الارجا
ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وجبله فابتهوا بها كبار الدور وجليلات القصور واتخذوا
خلالها المستغلات النفيدة والمنازه المشيدة . . . وتنافس الناس بالنزول باكتافها والحلول باطرافها
للدنو من صاحب الدولة وتناهى الخلو في البناء حوله حتى اتصلت ارياضها بارياض قرطبة وكثرت
بحوزتها العمارة (٤) " واشتد ملك محمد ابن ابي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الايام
في تشييد ابنتها حتى كملت احسن كمال وجاءت في نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فناء واعتدال
هوا . رق اديمه وصقالتة جو اعقل نسيمه ، ونضرة بستان وهجة للنفوس فيها افتتاحان (٥)

وكرت المنتزهات في قرطبة وضواحيها ، وقد بنى بنو أمية قصر الدمشقي في قرطبة .

”وتغنوا في بنائه وتنميح ساحاته واتخذوه ميدان مراحهم وضمار افراحهم وانشراحهم وحكوا به
نصرهم بالمشرق (٦) وقد انشد فيه ابن عمار بعد ان تنزه فيه هذه الايات ونسبها البعض للمصنفين

كل قطر بعد الدشق يذم
 فيه طاب العنق ولذ الشم
 نظرائي وما نهمر
 وترى عاطر وقصراشم
 بت فيه والليل والفجر عندی
 عنبر اشهب وسك احم (٧)

(١)	النفح الجزء الرابع المجلد الاول طبعة جديدة	١٢٣	(٢)	النفح	مجلد اول جزء ٤	٢٧٣
(٣)	" " " " " الخامس	٨٦	(٤)	" " " " "	" " " " "	٨٨ - ٨٢
(٥)	" " " " "	٩٠	(٦)	" " " " "	" " " " "	١٣٠
(٧)	" " " " "	١٣١				

وهناك منتزه يعرف " بمنية الزبير " ابن المثلث م ملك قرطبة وهو بستان جميل تجرى فيه
الانهار وتكثر الانوار والازهار وقد قال فيه ابن بقي يذكره بالخير :

سقى الله بستان الزبير ودام في	ذراه مسيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة في جنايه	بكثرة الخضراء طالعبها طلسق
خو الموضع الزاهي على كل موضع	اما ظله ضاف اما ماؤه دلسق
اهيم به في حالة القرب والنوى	وحق له مني التذكر والعشيق
ومن ذلك النهر الخفي نواده	بقلبي ما غبت عن وجهه خلسق (١)

وهذا يدل على مقدار حب الاندلس لهذه المنتزهات الجميلة . ومن القصور المقصودة للنتزه
ايضا القصر الفارسي (٢) ومن المنتزهات المشهورة مرج الخنجر (٣) ولقد قال فيه الشعراء الشي
الكثير وهناك فحص الرادى وهو من منتزهات قرطبة المشهورة وهو " مقصود للفرجة يسرح فيه
البصر ويتبجح فيه النفس وقد قال فيه الاصم القرطبي (٤) :

الا فدموا ذكر العذيب وبارق	ولا تساموا من ذكر فحص الرادى
مجر ذبول الشكر من كل شرف	ومجرى الكؤوس المتواتر السوابق
ايا طبيب ايام تقضت بسروضة	على لح غدوان وشم حدائق
اذا غردت فيها حمام دوحها	تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)

وهناك منتزهات كثيرة جميلة منها الحلى ، روادى العقيق ، والمرج النضير ،
وادى الديمر ، مطحا ، عيرون والعقاب ومن شهدة وغيرها . ولولا غلظ خوفى على القارئ
من الملل لذكرت جميع هذه المنتزهات الخلافة التى ضاقت بها الاندلس وغلدها الشعراء
بقصائدهم . وكانت هذه المنتزهات ملجأ امينا لطلاب المتعة ورواد اللهو والسرور يذهبون اليها
مع حبيباتهم وخلانهم يقضون النهار في لهو ومرح وقد صور لنا ابن عبود الرياحي يوما من هذه
الايام الجميلة بموشحة لطيفة :

بالله يا حبيبى	اترك ذا التفار
واعمد ان تطيب	في هذا التفار
واخرج معي للوادى	تسرب العقار
تسم نهائنا	في لذة وطيب
في الارحما والا	في المرج الخصيب

- | | |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٠ | (٢) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٨ |
| (٣) ١٣٧ | (٤) ١٣٨ |
| (٥) ١٤١ | |

او عند الثوابير والروض الشريق
او قصر الرخائسة او وادي العتيق
رحيق والله دونك هو عدى الحريق
ولي حبك احب ني اهلي فخر سب
وما الموت عدى الا حين تفهيب (١)

ولا عجب اذا ان يظل صاحبنا مسرورا مبتهجا ما دام قد اجتمع لديه الماء والخضراء والشكل الحسن والله در الشاعر حين قال :

ثلاثة تغيب عن النفس الحزن الماء والخضراء والشكل الحسن .
وهناك شعراء لم يكتفوا بقضاء النهار في هذه المنتزهات بل كانوا ياتون الليل في سر وفرض
الشعر . وقد بات ابو الحسن بن سعيد مع اولاده في حوز موئل في جنه له هناك على و
بييت عليه اهل الظرف والادب فقال في ذلك :

رض الله ليل لم يرح بهدم عشيت وارانما يحوز موئل
وقد نفحت من نحو نجد ارجة اذا نفحت هبت بها القرنفل
وفرد قمرى على الدج وانتى تغيب من اللبحان من نوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له عناق وضم وارثان قهبل (٢)

فقال مجيبة

لمرك ما سر الرياض هوصلنا ولكنه اهدى لنا القل والحد
ولا صفق النهر ارتياحا لقرنا ولا فرد القمرى الا لما وجد
فلا تحين الظن الذي انت اهلكه في صوغ كل المواطن بالرشد
لما خلت هذا الانق اهدى نجومه لا مرسوى كي وا تكون لنا لا رصد (٣)

وهذا شاعر آخر يذكر منتزه الحوز وينصح الذهاب اليه ان يومه في الصباح قبل ارتحال الندى *
وان ياخذ معه السفني والراح

مرج على الحوز وخيم به حيث الاماني ضائيات الجناس
واسبق له قبل ارتحال الندى ولا تتره دون شاد او راج

ان هذه البلاذ الجميلة العذبة هي التي طبعت ابناها على حب الله وطلب المتعة ،
فقد كان على بن محمد بن شفيح البسطي يقول * لو طبعت على الزهد لحبطني حسن بلاذى على
المجون والتعشق والراحات (٤) فلا عجب اذا ان نرى منتزهات الاندلس ملاهى بمجالس الطرب والشراب
يتسابق اليها الامراء والخلفاء قبل عامة الشعب وكانت تزدان هذه المجالس بالنكات الادبية والظرف
الجم يتناشد فيها الشعراء فيها صيون الشعر بل كثيرا ما كانوا يرتجلون القصائد البليغة حتى ان

الكثير من هؤلاء الشعراء كانت لا تهيج قرائعهم الا اذا جلسوا الى الشراب فقال احدهم يشرب
وعف المنتزه الذي جلس فيه :

هات المدام فقد ناح الحمام على	فقد الظلام وجيش الفبح في قلب
وامين الزهر من طول البكا رمدت	فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة	لكن ازرتها من لؤلؤ لا الحبيب
كم قلت لللاقى لما ان بدا صلقا	بشمسه عندما لاح من الحبيب
ان تمت بالشمس يا افق السياء فلي	شمان تدعي وابنة العنكب
ثم اسفينها وشفر الصبح يتشم	والليل تبكين من البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد	قامت لترثيه الاطيار في القفسب (١)

وقال آخر يطلب الشراب في هذه المجالس ولعل اللؤلؤ المنتور وثوب الذهب هما اللذان دفعا به الى

الشراب : ثم اسفينها وليل الهم منهزم والصبح اعلام محمرة العذب
والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها تضمن الشمس في ثوب من الذهب (٢)
واجتمع ابو جعفر مع ابن سيد في احدى هذه المنتزهات وقد جلسا للشراب ، فقال ابو جعفر وقد قارت
الشمس للغروب وقد لها في النهر معصم مخضوب

انظر الى الشمس قد الصقت على الارض خشنا -

فقال ابن سيد :	هي المرأة لكن	من بعدها الاقوى يصدا
فقال ابو جعفر :	مدت طرازا على النهر	عندما لاح بردا
فقال ابن سيد :	اهدت لطرفك مسنه	فلأكام يمدى
ابو جعفر :	درج اللجين عليه	سيف من التبر مسدا
ابن سيد :	فاشرب عليه هنيئا	ورد سرورا ومعدا

في النهر والى النجم قد طلعت فيه فقال ابن سيد :

اخلع على النهر ثوب الكرى فذلك واجيب
ابو جعفر : وانظر الى السرج فيخ كالزهر ذات الذوائب
وحين صفى لللاقى نقطته الكواكب

فقبل ل ابن سيد راسه وقال ما تركت بعد هذا عقالا لقال ثم جعلوا يشربون فقال ابو جعفر

اسفيني والافسقى برد	بنجوم الليل معلم
وباط النهر منها	وهو نفي صدرهم

فقال ابو جعفر: وساط الليل مرخي والشذا بالليل قد نس
 ابن سيد: والتدن في الزهر منشو رعلى مفقد منظم
 ابو جعفر: والمبا جرت على ميت الطلى كف ابن مرسيم
 ابن سيد: كان مبهوتا فلما نفخت فيه تكلم
 ابو جعفر: وكان الكاس والقهوة دينار ودرهم
 ابن سيد: وهذا الدف بناقي المود والمزمار هم
 ابو جعفر: فاذاع الاتس منا كل ما كان مكنم
 ولما طلع الفجر قال ابو جعفر:
 نشر الليل مفقود
 ابن سيد: وبدا الصبح بوجهه
 ابو جعفر: فغدا ينشر لما
 ابن سيد: فسلم اشرب وقيل
 ونشا الليل بروده
 مطلع فينا معسود
 فتر الليل بسنود
 من غدا ينطق هود (١)

ولا يقدر ابن حمديس ان ينسى طبقة بلاده لحظة واحدة حتى ولا الخمر تقدر ان تفصله
 عنها ، فهو يحب الطبيعة في كل وقت وللطبيعة سحر ودلال بوللطبيعة روعة وجمال ولا يطيب له الخمر
 الا في جوها الاخاذ

طرفت والليل مدود الجذاح مرحبا بالشمس في غير صباح
 فالغضب اهتز والبدر بدا كاهن ما هم للكون للوكر جناح
 وكان الغرب منها ناشق باقة من ياسمين او اقحاح
 وكان الصبح ذا الانوار من ظلم الليل على الظلم لاح

فكل ما في هذا الكون الجميل قد تحرك وثار ومدت زينتته ، افلا يحق للانسان ان يقبل على

الخمر ليضطرب مع هذا العالم الطروب ؟

في حديق غرس القيت به مبق الارواح موشى البطاح
 تعقل الطرف ازاهير به ثم تعطيه ازاهير صراح
 ارضع الغيم لبنا بهانه فترت فيه قاطات الملاح
 كل خصن تعترى امطافه رعدة النشوان من كاس اصطباح

ولم يختلف ابن خفاجة شاعر الطبيعة عن زميله ابن حمديس ، واليك هذه المقطوعة الجميلة يصف الطبيعة
 في رحاب الخمر فيقول :

ندى النسيم لنا ارق واضرا وهما القضيبي لنا اغفر وانفرا
نزفتها بكرا اذا قبيلتها الفت على وجهي قناعا احمر
ورفت بين قيعي نعيم هلهل ورداء شمس قد تمزق اصفرا
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤا رطبا وتفتق من غمام منبر (١)

فقال آخى طلب الشراب :

قم يا نديم ادر على القرقا او ما ترى زهر الرياض غفورا
فتخال محبها مدلا وردها وتظن نرجسها محبا مدنا
والجنار دماء قتلى معرك والياسمين حباب ماء قد طفا (٢)

وكن مقيما منه حيث الميا تتأز سكا من اريج البطاح
والقضب مال البعثر منها على بعثر كما يثني القدود ارتباح
وشق جيب الصبر تصد اذا شقت جيب العذل منه الرياح
لم احمر كم قاديته ثابتا واسترقصتني الرواح عند الرواح (٣)

وهذه المنتزهات عند البعثر معاهد للحسن زواطن للجمال وملقى الانس والبهجة حيث تسجع فيها
الطيور وتتجلى فيها البدر

واين معاهد للحسن فيها وللانس النقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيسها لدى الاسرار اطيب سلجمين
فكم بدر تجلى من رباها ومن بطحاتها في مطلع عين
واغيد يرتعي من تلعبتها ومن ثمر القلوب تمر تمر عين
اذا هي لسونه يسمينها عجت من النقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناء ومن زاهرتها في حلين عين
رواح اصيلة من بين نسهر ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسما يجول نيسه سحائب من ظلال الدوحين
تدري للنواسم حين هزيت عليه كل ضمن كالرد عين
ملاصبي في فراي عند ذكرى صباء وفتة المتلاعبين (٤)

وكثيرا ما كانت هذه المنتزهات تثير في قلب الشاعر مواطن كاشفة فيهدد عاملها اوتار الشعر الجميل
بنغمة سحرية طيبة . فيقول ابو الوليد الجنان بن الطب بانه الوادي :

(١) ديسران ابن خفاجه (٢) النفع الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣١٤

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٠ (٤) الثاني " " " ٣٤٢

يا بانه الوادى اذا اضطرت
فما نقيها من الصب الكتيب فط
تلك المعاطف حيث الشبح والغار
على معانقة الاغصان انكار
فبعض هذى لها بالحب اغبار
لي في حماكم احاديث واسمار
وانما حبكم في الكون اطوار
لي بالغدير لجانا واوطار (١)

فلا عجب اذا ان يتحرق ابن القرطبي ويتشوق الى المنتزهات القرطبية عندما كان في مراكش
وتسمى القصيدة عند اهل الاندلس "كنز الادب" ومنها يقول :

سارح كم بها سرحت من كمد قلبي وطرفي ولا سلوان يتبينني
بين الصلي الى وادى العقيق - وما - يزال مثل اسم ضد بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج التضرير فوا دى الدبر فالعطف من بطحا عيون
لها بحد سقته السحب وابلاها فلم يزل بكؤوس الانس يخليبيني
لا باعد الله عيني عن منازلهم ولا يقرب لها اهلوا بغيرون
ومنها يتطلب الشاعر ان يكون له عرنج ومال قارون :
قطر نسج ونهر ما به كدر حفت بشطيه القاف البساتين
يا تلث لي عرنج في اناشها وان مالي فيه كنز قسا رون
كلاهما كت انتبه على نفسوا ت الراح نهبا ووصل الحور والصين (٢)
ولا بن زيدون قصيدة طوله في ذكر منتزهات قرطبة ومغانبها مطلعها

خليبي لا نظريسر ولا اضحي فط حال من اسى مشوقا كما اضحي
ومن اجمل ما قيل في هذه المنتزهات هذه القصيدة البليغة تمطيك صورة واضحة شاملة من جمال
هذه المنتزهات ومغانبها والتي ساجعلها مك ختام هذا الفصل
اهدت لنا الايام زهرة طيبها وتسربت بنضيرها وتشبهها
واهتر عطف الارض بعد خشوعها ويدت بها النعما بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها من بعد ما بلغت (عني) مشبهها
وقفت عليها السحب وقفة راحم فبكت لها بعيونها وقلوبها

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ٢٢٠ - ٢٢٢

(٢) " " " " الخاص " " ٢٣٠

فعمجت للآزهار كيف تضامك
وتسربت حللا تجر ذبولها
فلقند اجاد العزن في انجادها
ما نصف الخيرى يمنع طيبها
وهي التي قامت عليه بدلتها

ومنها وعلى سماء الباسمين كواكب
زهر ترقد ليلك ونهارها
فصلت على سبر النجوم بأسرها
نظارتها ارجاؤها بهيها
وتصوت فيها فروع جدا ول
تطفو وترسب في اصول نثارها

ومنها

او ما ترى الازهار وما من زهرة
والطير قد خفت على اقنانها
تشد وتمتر النعمون كأنما
الا وقد ركب فنار قضيبها
تلقى فنون الشدوني اسلوبها
حركاتها رقص على تطريبها

(١)

بطاح خضراء يانعة وسفوح تمنمها الازهار ، وادواح ملققة رقص الطير على اقصائها ،
وانهار تنفجر من اعالي الجبال بصخب وزمجرة الى جداول رقراقة تتهادى وتتمايل مخترة السروح الخضراء
كالحملان الوديعة الى اخرى تتعطف وتتولى كالاراقم . وترسل الشمس اشعتها فتغلها بغلالة ذهبية
رقيقة ، والقرمضى سناء مطوقا فيكسبها جلالا وروعة . وتحنو الاشجار على الضفاف فتسيل وتتشنى مداومة
وتضحك الزهور والاقاحي على الجوانب مسرورة مبتهجة . وامام هذه الفتنة الصارخة وهذا الجمال الاخاذ
لا يمتالك الشاعر الاندلسي الا ان يصرخ من اعماق قلبه :

تلك المنازل والملا
حيث التفت رايت ما
والنهر يفصل بين زهـــــــــــــــــــــر الورد في الشطين فصلا
كساط وشي جردت

عجلا اراها الله محلا
• سائعا ورايت طلا
ايدى القيون عليه نصلا (١)

جزيرة احدثت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب وكثرت بها الانهار
والعيون حتى قال ابن السمع " ولا يذود فيها احد ما حيث سلك لكثرة انهارها وبيوتها وربما لقي المسافرين
فيها في اليوم الواحد اربع مدائن ومن المعامل والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضر وقصور بيض (٢) "
ومن انهارها العظيمة نهر اشيلية كما جاء في النسخ فليس في الارض اتم حسنا من هذا النهر ، يضاهي
دجلة والفرات والنيل ، وكانت القوارب تسير في هذا النهر للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الشجر
وتفريد الاطيار اربعة وعشرين ميلا وتتعاظم الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ في هامة متصلة
ومنارات مرتفعة وابراج مشيدة وفيه من انواع السمك ما لا يحصى (٣)

ولعل احسن ما قيل في وصف الاندلس هو شعر ابن سفر البرني اذ يقول :

في ارض اندلس يلتذ نعماء
 انهارها فضة والسمك ترونها
 وللهموا بها لطف يرق به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا
 وانما ارج الند استنار بها
 ولا يفارق فيها القلب سراً
 والخز وجنتها والدر حصياً
 من لا يرق وتهدو منه اهوا
 ولا انتشار لآتي الطل انداء
 في ما ورد قطابت منه ارجاء

٧٢	الطبعة الجديدة	الجزء الاول	المجلد الاول	النوع (١)
٨٣	.	.	.	(٢)
٨٣	.	.	.	(٣)

الى ان يقول :

قد ميّزت من جهات الارض حين بدت فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا ابهر خفتت وجدا بها ان تهدت وهي حسنا
بذاك يبسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو وللانسان اصفا
فيها خلقت عذارى ما بها عوض فهي الرياض وكل الارض صحرا (١)
وما هو جدير بالذكر ان الاندلس معدومة الصحارى

وترى شغف الاندلسي بطبيعة بلاده . قول ابن اللبانة يصف مدينة ميورقة بمائها الجارى من
غير توقف . وقد اصبحت هذه المياه بنظره خيرا .

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساء حلة ريشه الطاووس
فكانما الانهار فيه مداة وكان ساحات الديار كوكوس (٢)

نعم لقد فتح هذا الجمال الطبيعي الخلاب مجالا واسعا لشعرائنا فوصفوا وابدعوا في الوصف ،
ولعل الفضل يرجع في الدرجة الاولى الى جمال هذه المناظر البديعة التي الهبت الشعور وحركت القرائح
والتي هي جديرة بان تخلق الشاعرية خلقا في نفوس هؤلاء الشعراء . فلقد كانت مهمة الشاعر الاندلسي
الرئيسية مهمة المصور البارع فهو يهيم في الطبيعة ويحسها احساسا حقيقيا يعبر عنه برشة شعرية ،
يستعير ألوانها من لجين الماء . وذهب الاصيل وظلال الاشجار وبياض الحباب وزرقة السماء وحمرة الاثمار .
فيجمع شاعرنا هذه الالوان ويمزجها مزجا فنيا في قصيدة وصفية رائعة كما فعل ابن صارة الاندلسي اذ
يصف نهرا رقراقا ينساب بتوادة ، ويتلوى في منعطفات ومنعرجات مختلفة ، حيث يقل ماؤه فتروق فلاله
خصره

والنهر قد رقت فلاله خصره وطينه من صبغ الاصيل طراز
تترقق الامواج فيه كأنها هكن الخصور تهزها الاعجاز (٣)

ويقف شاعر آخر امام هذا النهر فتختلف نظرتة اليه ويختلف تشبيهه ، فلاله هذا النهر من
فضة ، وهذا النهر متقلب لا يستقر على طريقة واحدة او اسلوب واحد في الجرى ، فتارة يجرى سيلاً
فيتبهر الثوب من فضة الى نضار ، وتارة يستقيم في جريه فيصبح صفحة منمل واخرى يستدير متخذاً شكل
هطف السوار

(١) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٨٧

(٢) الطبيعة في الشعر العربي - نون ٢٦٠

(٣) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤

والنهر مكنو غلالة نضة . فاذا جرى سيلا ثوب نضار
واذا استقام رايت صفحة منصل . واذا استدار رايت عطف سوار (١)

وشبهه آخر بالمجرة

والنهر مثل المجزّ صفا به من الندامى كواكب زهر (٢)

ومما يلفت النظران الشعراء أكثروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية . فالنساء وما تتركه فوق المياه من غصون وتجايد شبهوها بالدروع . كما أكثروا من تشبيه الانهار بالمهند المصقول في حال عدم مرور النسيم فوقه . ولعل الحروب الكثيرة والثورات المتواصلة في بلادهم اثرت في نفوسهم وعقليتهم وجعلتهم ينظرون الى المعدات الحربية كشيء جميل يجب على الانسان ان يفتخر به ويتشبه به لان بواسطتها كانوا يحمون بلادهم ويحافظون على مجدهم وغزهم من كيد العدو . ومن هذه التشبيهات :

لله بهجة منزله خربت به فوق الغدير روانها الانعام

فمع الاصيل النهر درع ساين ومع الضحى يلتاح منه حمام (٣)

وهنا يمر النسيم فوق هذا النهر فيصبح النهر كالدرع الواسع بينما يصنع الحباب له زردا
 مرونا بشاطئ النهر بين حدائق بها حدائق الازهار يستوقف الحدائق
 وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه وما غير الحباب لها خلق (٤)

ولاهن العطر في هذا المعنى يصف غديرا :

هبت الريح بالعشي فحاكت
 زردا للغدير ناهيك جنة

وانجلي البدر بعد هد* نصافت كلة للقتال منه اسنة (٥)

وفي الابيات الآتية يشبه ابن العطار النهر وقد وقع عليه الظل بالقرب ، والنسم المكشوف بالسيف :
 ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حباب على حطفيه وشي حباب
 والا حسام جال فيه فرند ، له من مديد الظل اى قراب (٦)

ولا بن مالك في المعنى ذاته ايضاً :

ورب يوم وردنا فيه كل منى
وقل في مثل ذاك اليوم ان نردا

فی روضتین ہشاطی مسلسل شہم کیا اجتلیت من المحبوب مفتقدا

يبدو القطر في اثائه حلقا فتتظم الريح من فونه زردا (٧)

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤ - ٢٠٥
 (٢) " الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٨
 (٣) " المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٢١٦ - ٢١٧
 (٤) " " " " " ٢١٨
 (٥) " " " " " ٢٨٤
 (٦) " " " " " ٢٨٣
 (٧) النفع المجلد الاول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٢١٢

وستعري جرى المياه في ناحية اخرى انتباه شاعر آخر فيشبهها بانسياب الارقام فيقول اذ
يصف جلسة جميلة :

في حيث تنساب المياه اراقما وتعيرك الانيا* برد ظلالها (١)

وقال اخر :

انظر الى الماء كيف انحط في صبيه كأنه ارقم قد جد في هربه (٢)
ان هذه البلاد الجميلة التي اضواءها طبق النى وهواؤها يشتاها الولهان اثرت في
طبع اهلها ودمت اخلاقهم واصبحوا يعشقون الجمال ويميلون الى اللهو والمرح ويقول شاعرهم في هذا
القطر الجميل :

اضواءها طبق النى وهواؤها يشتاها الولهان في الاسحار
والطبع معتدل قفل ما شئت في الظل والازهار والانهار (٣)

ولذلك فكثيرا ما كان اهل الاندلس يخرجون الى هذه الانهار والحدردان والبحيرات وما
احتواها من بساتين ورياض يقضون فيها اوقاتهم ومضون صبيحاتهم وامسياتهم على ضفافها
يمرحون ويلهون وكثيرا ما كانت تستهوى هذه المناظر الخلابة طلاب المتعة واللذة ان يقضوا اياما يتعاطون
الشراب ويتقارضون الشعر ويصحبهم القيان والمغنون فيستمعون الى انغام مغنيتهم تارة والى شدة
الطيور وخرير المياه اخرى .

وقال ابن سراج في ذلك وقد خرج مرة مع خلان له الى ضفاف احد الانهر فقضوا يومين
على ضفافه في احسن عيش يتعاطون الشراب ويتقارضون الشعر :

رض الله قتيانا انست بقربهم على جدول للماء فيه خرير
اقننا به يومين في خلف عيشة ولا عيش الا قهوة وقدير
تدور القوافي بيننا نستحشها وكأس الحميا بالسرور تدور
وفي الشجرات الخضراء رقيقة لنغمتها بين الضلوع هدير
اذا ما تغنت فوقنا قلت قينة تلاها بصوت مثلثان وزير
سبتي بصوت لو يباع اشتريته بما مر من عمرى وذات يسير (٤)

وقال في احدى هواه القيان وهي تغني على جربة ماء وهم يشربون ويلهون :

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٥

(٢) * المجلد الاول الجزء الاول ٦٠

(٣) * الجزء الثاني ٢٠٩

(٤) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٢٧٠

ومسمة تفتينا ارتجالا وتعجبنا بنغمتها دلالا

وبين اكفنا جمر وما اذا ما سال قلت الدر سالا (١)

وقال ابن السراج ايضا : " كنت يوما على جربة ما " في موضع حسن يحار فيه الطرف ويقصر عنه الوصف
واقمنا هنالك اياما في اطيب عيش واطرف منظر " (٢)

شرنا على ما كان خيرره خوردموي عند رؤية ازهر

حلت بعينيها لقد سفكت دمي باطراف فنان والحافظ جوهر (٣)

وازهر هذه هي حبيبته .

ووصف احدثهم منظرا جميلا ، يتخلله نهر ، وقد طوقت الازهار التي بللتها الاندا ، وكست
الشمس الارض الخضراء بفلائل ذهبية وقد جلس واخوات له للهو والغرب والشراب :

تم ناسقتي والرياض لاهية وشيا من النور حاكه القطر

والشمس قد عصفت غلائلها والارض تندى ثيابها الخضر

والنهر مثل المجر حف به من الندام كواكب زهر (٤)

وفي جلسة لهو ومتاع قال شاعر آخر :

عطف القضيبي مع النسيم تميلا والنهر موشى الخمائل والحلى

تركته اعطاف الغصون مظلا ولنا من النهج القديم مضلا

امسى يغازلنا بمقلة اشهل والطرف اسحر من ثراء اشهلا (٥)

وركب احدثهم نهرا فوصف عبوره النهر مشبها سطح النهر بالسما وحاباه بالنجوم ، وظلال
ادواحه الكثيفة الملتفة على جوانبه بالبر وخبوط الشمس الذهبية المتسللة خلال هذا الرداء بالوشى
والرقوم :

مهرنا سما النهر والجو مشرق وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البسته الايك برد ظلالها وللشمس في تلك البرود رقيم (٦)

وركب ابن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية " في عنبة سال اصيلها على لجين الما عقباننا
وطارت زواريقها في سما النهر عقباننا واهدى نسيمها من الامواج والدارات سررا واعكنا في زورق يجول
جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف " (٧)

(١) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٣٧١

(٢) " " " " " ٣٦٣

(٣) " " " " " ٣٦٣

(٤) النفع الجز الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٨

(٥) " " " " " ٢٨٩

(٦) " " " " " المجلد الاول الجز الخامس ٢٩٥

(٧) " " " " " الجز الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣

تأمل حالنا والجو طلق محياء وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذرا حبل تجاذب حرطها ربح رخا
بنهر كالسجدجل كوثرى تميس وجهها فيه الشما (١)
واتفق ان وقف ابن خفاجة على القطعة واستفطر منها فقال يعارضها على وزنها ورويتها وطريقتها (٢)
الا حبذا ضحك الحبيبا بهانتها وقد عيس المساء
وادهم من جباد الما مهر تنازع جلده ربح رخا
اذا بدت الكواكب فيه فرقى رايت الارض تحسدها الساء (٣)
ومنا شاعر آخر يصف اصيل يوم قضاء بالخيف والنهر ينساب انسياب المذعور وهبوب الريح تولد على
على صفحات الما موجات تسفر بدورها عن الحباب وقد نبت على ضفتيه قصب لدنه تحاكي قدود الحسان
وازهر النور واخضر النبت .

يوم لنا بالخيف راق اصيله كما راق تبر للعيون مذايب
نعمنا به والنهر ينساب ماؤه كما انساب ذعرا حين ربح حباب
وللموج تحت الريح منه تكسر تولد فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قصب لدان بشطه حكها قدود للحسان رطاب
واينع مخضر النبات خلالها كما اقبلت نعى وراق شباب (٤)
اقبل اهل الاندلس على هذه المنزهات وهاموا بطبيعتها الفتانة وقد يصيح احدهم معبرا عن
هذا الجمال الفتان ، وعن ايام سعيدة قضاها في ربوع احد الانهار فيقول :
ايما طيب ايام تقضت بهروضة على لمح غدران وشم حدائق
اذ غردت فيها حمام دوحها تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)
وما اجمل القمر والشمس حين يرسلان اشعهما على ماء النهر فهذا يفضضون ذلك بذهب
الا حبذا نهر اذا ما لحظته ابن ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
تري القمرين الدهر قد غنيا به يفضضه بدر وتذهب شمس (٦)

(١) النفع الجز الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣

(٢) " " " " " ٢٠٣

(٣) " " " " " ٢٠٩

(٤) قلائد العقبان " " ١٧٢

(٥) الطبيعة في الشعر الاندلسي - نوفل ٢٦٢

(٦) النفع الجز الثاني الطبعة الازهرية ٤٣٩

ويضفي البدر بها السني فيقول ابن صارة :

انظر الى البدر واشراقه

طنى غدیر موجه يزهر

كشحت من مجر اخضر

خط عليه ذهب احمر (١)

وترسل الشمس زفرانها اصيل يوم فتصيح النهر :

انظر الى النهر في ردا هوس

صبغته بزفران العشي

ثم لما هب النسيم عليه

هز عطفيه في دلاء الكني (٢)

ولا يتعدى ابن خفاجة في وصفه نهرا سائلا في السهول والبطاح ما يقوله زملاؤه ولكنه يرى هذا

النهر الذي رق كأنه قرص الفضة وقد انزعج في الثوب الاخضر انه اشهى الى قلبه من شفاء الحسان .

لله نهر سال في بطحا

اشهى ورودا من لس الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه

والزهو يكلفه مجر سما

قد رق حتى ظن قرصا مفرا

من نضة في بردة خضراء

وقدت تحف به الغصون كأنها

هدب يحف بحقلة زرقاء

ولطالما عاطيت فيه مدامة

صفراء تخضب اهدى الندما

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء (٣)

ومن جميل ما قيل في الانهار قول ابن سقر في نهر اشبيلية وهو نهر عظيم يصعد المد فيه اثني

وسبعين ميلا :

شق النسيم عليه جيب قميصه

فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها

هزا فضم من الحيا ازاره (٤)

وهذا التشبيه جديد ومبتكر

ولعل اجمل ما قيل في الانهار قول ابن حمد بن المغربي يصف نهرا بالعفا وهو يسيل في

روضة وقد انعشه الهواء الحليل فظهر ما يمكنه ضمير . ويرى على الحصا فتجرحه وتولمه فيشكو اليها

اوجاعه والآلمة بخبره :

(١) النسخ الجز الثاني الطبعة الازهرية ٣٣٩

(٢) " " " " " " ٣٤٠

(٣) ديوان ابن خفاجة ١٦ - ١٧

(٤) النسخ الجز الثاني الطبعة الازهرية ١٥٠

ومطرود الامواج يصقل متته صبا اعلنت للعين ما في ضميره

جريح باطراف الحمى كلما جرى عليها شكا اوجاعه بخويره

كان حباها ريع تحت حبايه فاقبل يلقي نفسه في غديره (١)

وتتجلى روح الابداع والابتكار عند ابن حمديس عندما يصف نهرا ينبعث من عين ما* فيقول :

ومرو صدى الروضات يسحب ذائبا على الارض منه جملة تتبعض (٢)

ويتامل ابن حمديس ويتمعن النظر في صور الطبيعة فيرى النهر جاريا مهترا وكأنه قروا ينفضه النسر .
ثم ينساب كأنه حية تطول وتعرض . واذا ما مرت عليه الريح اصبح عمودا منقوشا بل يعود فيجعل من
هذا الغدير روحا يحيي الجسم وينفضه . وتنطبع نفسه الحزينة في هذا النهر وتتحول مياهه
الى دموع عين لا ينقطع معينها ايدا .

اذا ما جرى واهتز للعين مزيدا حسبت به قروا من النسر ينفض

وتنساب منه حية غير انها تطول على قدر الحساب وتعرض

وتحسبه ان حبكت متته العبا عمودا علاه النقش وهو مفضض

له رعدة تعتاره في انحداره كما تبسط الكف العنان وتقبض

كان له في الجسم روحا اذا جرى به نهضة والجسم بالروح ينفض

وما هو الا دمع عين كأنها لطول بكاء دهرها لا تخفض (٣)

ويقول في النهر ايضا :

ولا يس ثقب الاعراض جوهره له انسياب حباب رقصه الحبيب

اذا الضبا لا زلقت فيه سنايكها حسبت منصلا في متته شطب

وردته ونجوم الجو مائلة كما تدحرج درما له ثقب

ومضرب طعنته غير نايبة اسنة هي ان حقتها شهب (٤)

ومشرق كيا* الشمس في يده نفضة الماء لن القائها ذهب (٥)

ومع ان ابن حمديس لم يجدد في تصاويره وتشابيهه ولم يختلف عن زملائه الشعراء بتصوير الطبيعة ،
الا انه يشفع له صدق العاطفة وشدة شغفه بالطبيعة ، فانه يضيء عليها الحياة ، ويجعل لها روحا
تتعشها ، فما الانهار الا ارواح تحيي الرياض والرياحين ، وما ريع الضبا الا لسان صب ترسلته
الروضة مطيبا ليشكر الانهار وقال في ذلك يصف قديرا شقه نهر :

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) ديوان ابن حمديس

(٣) " " "

(٤) " " " ٢٤

وزرقاً في لون السماء تنبهت	لتحيكها ربح تهب مع الفجر
يشق حشاها جدول متكفل	يسقي رياض البست حلل الزهر
كما طعن المقدام في الخرب دارعا	بعضب فشق الخصر منه الى الخصر
يريك رؤوساً منه في جسم حية	سعت من حياة في حدائقه الخضر
فلا روضة الا استعارت لشكره	لسان صبا تسرى مطيبة النشر (١)

٢ - البحيرات والبحار

أحدثت البحار بجزيرة الاندلس ، ولهذا نرى الشعراء يتجهون الى البحر ويصفون الاساطيل والسفن الحارية فيه ، وقد تفتن كثيرون منهم في اوصافها وبخاصة ابو عمر القسطلي وابن خفاجة وابن الابرار ، وابن وهبيون .

ومما نلاحظه ان الاندلسيين كانوا يرهبون جانب البحر ويتجنبون ركوبه . وربما يرجع هذا لعدم توفر الاسباب لتأمين السفر ، بل يرون في ركوبه اكبر المصائب وانفزع الاهوال ، ولا يقحمونه الا اذا اضطروا الى ذلك اضطرارا ، ويصف لنا المقرئ صاحب النفع ركوبه البحر وسفره الى المشرق وما لاقاه من احوال ومخاطر . فيقول " ركبنا البحر وحللنا السحر والنحر وشاهدنا من احواله وتناهي احواله ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدا لا جعلت حاجتي اليه

ليس ما ونحن طين فما عسى صيونا عليه ؟ (٢)

وسعود فيصف امواجه والريح القوية التي هبت عليهم " فكم استقبلتنا امواجه بهوجوه بواسر ، وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد ازعجتها اكاف الريح من وكرها كما نهبت اللجج من سكرها فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دوا عظيما وزفيرا وثبقنا الى لا نجد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا " واذا مسكم القدر في البحر ضل من تدعون الا اياه وايسنا من الحياة ، لصوت تلك العوصف والنباء فلا همم الله ذلك الهوى المززع ولا بقاء والموج يصفق لسماع اصوات الرياح فيضطرب بل ويضطرب فكانه من كأس الجنون يشرب او شرب ، فيستعد ويقترب مفرقة تلتطم وتصطفق ، وتختلف ولا تكاد تتفق ، فتخال الجو يأخذ بنواصبها وتجذبها ايديه من نواصبها حتى كاد سطح الارض يكشف من

(١) ديوان ابن حمديس ١٥٦

(٢) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٥

خلالها ومكان السحب يخطف في استقلالها والشرع في قراع مع جيوش الامواج التي امدت منها الافواج
بالافواج ونحن مقود كدود على عود بين فرادى وازواج . وقد نبت بنا من المغلق امكتنا وخرست من الفرق
السنتنا ، وتوهمنا انه ليس في الوجود افزار ولا تجود الا السما والما وذلك السفين ، وفي في قبر
جوفه دفين " (١)

وفي ركوب البحر يقول ابو عمر القسطلي وهو متوجه الى سرقسطه ولا يختلف رايه في ركوب البحر عن
المقرى فيقول مخاطبا الخليفة خيران العامري صاحب المريه

اليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد ذعرت من مغرب الشمس فران
على ليج خضر اذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها تبيرو وتهلان
موائل ترمى في ذراها بموائلا	كما عبت في الجاهلية اوتان
وفي طي اسمال الغريب غرائب	سكن شفاف القلب شيب وولدان
يرددن في الاحشاء حر مصائب	تزيد ظلاما ليلها وهي نيران
اذا غيضا البحر منها مددته	بدمع عيون تتربص من اشجان
وان سكنت عنها الرياح جرى بها	زفير الى ذكر الاحبة حنان
ثقلن وموج البحر والهم والدجى	تموج بنا فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا	سوى البحر قبراو سوى الما اكان (٢)

وفي البحر يقول القسطلي ايضا :

مررت بسوس والنجم كأنها	توقد من فكري وتسرح من ذهني
واسمرت من بدر الظلام بالية	بصحبة مطفي الجمر او مكفي الظعن
لبستنا بها ليلا من الثلج ايضا	كسته يد الفئبر ثوبا من القطن
ورحنا على البيرة فاستقل بي	جناح عقاب لا يروح الى وكن
ولما تنكنا المنكب لم نجد	لنا مركبا اهدى سبيلا من السفن
ترامت بنا الاهوال في كل لجة	تخيلها جوا تجلل بالدجن
تري السفن فوق الموج فيها كأنها	تحد من رهن وتولي على رهن (٣)

ولقد كان للعرب اسطول في الاندلس فظن الشعراء في وصفه ومن ابرع اوصافهم للسفن قول ابن
يزيد بن عبد الله بن خالد :

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٧

(٢) الذخيرة القسم الاول الجزء الاول ٢٤ - ٢٥

(٣) " " " " " " ٣١٥

- ويا للجوارى المنشآت وحسنها
إذا نشرت في الجوّ اجنحة لها
وان لم تهجه الريح جاء مصانحا
مجاذف كالحيات مدقّرة وسدا
كما أسرعت عدا انامل حاسب
هي الهدب في اجفان اكل اوطف
- وقال عبد الله بن الحداد يعرف اسطول المعتم بن صراح
هام صرف الردى بهام الاعدادى
وتراّت بشوعها كعيون
ذات هدب من المجاذيف حـــــــ
حم فوقها من البيّن نار
ومن الخط في يدى كل در
- ولا بهي الحسن بن حريق في هذا المعنى :
وكانما سكن الاراقم جوفها
فاذا راين الما يطنج نفضت
- وقال آخر يعرف الشراع :
ولها جناح يستعار بطيرها
يعلو بها حدب العباب مطاره
يسمو باخر ذى الهواء منعب
يتنزل الملاح منه ذوابة
وكانما رام استراقة معقد
- وقال ابو عمر القسطلي ايضا :
وحال الموج بين بني سبيل
اغرله جناح من صباح
- طوائري بين الجوّ والماء عوما
رايت به روضا ونورا مكما
فعدت له كفا خصبيا ومعصما
على وصل في الما كي تروى الظما
بقبحر وسط يسبق العين والفا
فهل صفت من عديم اربك دما (١)
- ان سمت نحوهم لها اجباد
دايها مثل خائنيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حـــــــ
كل من ارسلت عليه رما
الف خطها على البحر صا (٢)
- من عهد نوح خشية الطوفان
من كل خوة حبة بلسان (٣)
- طوع الرياح وراحة المتطرب
في كل لج زاخر مقلوب
هريان منسرح الذوابة شوب
لورام يركبها القطا لم يركب
للسمع الا انه لم يشهب
- يطير بهم الى الصوب ابن ما
يرؤف فوق جنح من سما (٤)

(١) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٢

(٢)

(٣)

(٤) النسخ المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٣

وقال ابن خفاجة :

وجارية ركبت بها ظلما	يطير من الصباح بها جناح
إذا الماء اطمأن ورائي خصرا	علا من موجه رد فرداح
وقد فغر الحمام هناك فاه	وانلج جيدة لاجل المناخ (١)
وقال عبد الجليل ابن وهيون يصف الاسطول :	
يا حسنها يوما شهدت زفافها	بنت الفضا الى الخليج الازرق
ورقا كانت ابكة فتتمورت	لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجه	وكأنه من فرة لم ينعق
من كل لابس الثياب ملاة	حسب اقتدار الذائع المتانق
شهدت لها الايمان ان شراها	اسمارها فتصغفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم اجنح	وعلى معاطفها وهادة سودى
زارت زهير الاسد وهي صوامت	وزحفن زحف مواكب في مأزق
وسجاف تحكي اراقم روبة	نزلت لتكزع من غدير مناق (٢)

٣ - الاحواف والنواميسير

تعلم من الفصول السابقة ان الخلفاء والامراء اولعوا بالناحية العمرانية فتفننوا وخالوا بتجميل المدن واشادة الابنية الفخمة واولعوا بناحية خاصة وهي رؤية المياه تجري على مختلف الاشكال والانواع فزينوا القصور بهدائق غناء مسوجة بالعرايش والكروم تزخر باشجار الناكهة ومختلف الزهور واجروا من تحتها الجداول والانهار العذبة . واسالوا الغدران الصافية في البيوت والمنازل . كما اقاموا القنوات العديدة لجلب المياه العذبة من الجبال المجاورة وتوزيعها في كل ساحة من ساحات المدينة . وتوسطت الشوارع النوافير الجميلة التي كان ينشق الماء منها فتبعث في النفس الغبطة والسرور كما فعل الناصرخين جلب المياه العذبة من جبل قرطبة الى قصر الناعورة " في مناهر مهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب " (٣) ينساب ماؤها الى بحيرة عظيمة اقيم عليها اسد عظيم الصورة

(١) النسخ المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٤

(٢) " " " " " " ٣٧٤

(٣) " " الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٥٣

ويظهر ان اهل الاندلس كانوا يستعملون الدواليب والنواير لرى البساتين وقد استرعت انتباههم خصوصا المياه المندفعة منها التي كانت تذكرهم بالدموع المتساقطة من العين - وقال ابو جعفر بن وضاح في دولا ب :

وياكية والروغ يضحك كلما	الحت عليه بالدموع السواجم
يرفك منها ان تاملت نحوها	زئير اسود والظاف اراقم
تخلص من ما* الغدير سبائكا	فتبتتها في الروغ مثل الدراهم (١)

وقال ابو الحسن بن سعد الخير :

لله دولا ب يفيض بسلسل	في روضة قد اهنمت افنانا
قد طارحت بها الحمام نجوها	فيجيبها ويرجع الالحانا
فكانه دنف يدور بمعهده	يبكي وسأل فيه عن بانا
ضاقت مجارى طرفة عن دمه	فتفتحت اضلاعه اجفانا (٢)

ووصف احد هم ناعورة فقال :

وذات حنين ما تنفخ جفونها	من اللحج الخضف الصواني على شط
فتبكي فتحيي من دموع جفونها	رياضا تبتد بالازاهر في بسط
فمن احمر قان وصفق فاقع	وازهر مبيض وادكن مشط
كان ظروف الماء من فوق متنها	لاآي جمان قد نظمن على قرد (٣)

وهكذا نجد ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف لم يحاوزوا الشكى فانهم لم ينفذوا الى اسرار

البحار والانهار برسمونها ووضفون عليها الوان الفن كما فعلوا في غيرها من الوان الطبيعة . كما ان تشبيهاهم للمياه كانت محصورة جدا فلم تتعد تشبيه المياه بالدروع والسيوف والحلق والزرد والاراقم والمجرة والبلور (المجلى) كما حصروا تشبيه صوت المياه وخريرها بزئير الاسود وضا* الطيور .

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

(٢) " " " " " ٣٤١

(٣) " " " " " ٢١٠

وكانت الاحواغر والصهاريج تصنع من المرمر المنقوش او من النحاس كما كانت في القصور تصنع من الذهب الابيض او الفضة . ويحكى انه اجتمع ثلاثة من الشعراء وهم ابو جعفر بن سعيد ، والكندي وابن نزار في جنة بهية وفيها صهريج ماء قد احرق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وطيه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيف وطينور رخام يصنع في انبويه الماء صورة خباء . فقالوا نقسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال ابو جعفر يصف الراقصة : (١)

وراقصة ليست تحرك دون ان	يحركها سيف من الماء مصلت
يدورها كرها لتتضي صولها	عليه فلا تعب ولا هو بهت
اذا هي دارت سرعة خلت انها	الى كل وجه في الرياض تلفت (٢)

وقال ابن نزار في خباء الماء :

رايت خباء الماء ترسل ماءها	فنازعها هب الرياح رداها
تطارفها طورا وتعصيه تارة	كراقصة حلت وضعت قباها
وقد قابلت خير الانام فلم تنزل	لديه من العلباء تدي حياها
اذا ارسلت جود امام يمينه	ابن العدل الا ان يرد اياها (٣)

وقال الكندي في الصهريج :

وصهريج تغال به لجينا	يذاب وقد يذهب الاصيل
كان الروض يحشقه فمه	على ارجائه ظل ظليل
وتشده اكف الشمس مشقا	دنانيرا فمه لها قبول
اذا زفع النسيم القشب منها	فحينئذ يكون لها سيل
وللنارنج تحت الماء لما	تدي عكسها جمر بلبل
ولليمون فيه دون سبك	جلجل زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفوني	وارهف منه الزهر الكليل
تتأثر فيك اسلاك القوادى	وقبل صفح جدواك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا	من الاكياس والكأس الشمول
يجمع بهم نسيم الروض الفا	فمن وجد له جسم عليل (٤)

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢١٠

(٢) " " " " " ٢١٠

(٣) " " " " " ٢١٠

(٤) " " " " " ٢١١

- وكانها ترمي السماء ببندق
لو عاد ذاك الماء نطقا احترقت
في بركة قامت على حافاتهما
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها
وكان برد الماء منها مطلي*
وكانا الحيات من افواهها
وكانا الحيتان اذ لم تخشها
وقال احد الاندلسيين يصف بركة عليها فورات :
فضبت مجاريها فظهر فيظها
وكان نبع الماء من جنباتها
قضب من البلور اشرق فرمها
وفي هذا المعنى قال ابن حمديس يصف نهرا كما سبق :
ومطرّد الامواج يصقل مته
ويصف ابن سارة بركة فيها سلاحف :
لله مسجورة في شكل ناظرة
فيها سلاحف الهاني تفاصها
تتافر الشط الآجين يحضرها
كانها حين يهدى بها تصرفها
وقال الاعن التطيلم في اسد نحاس يقدف الماء :
اسد ولو اني انا _____ قشه الحساب لقلت صخره
فكانه اسد السماء _____ * يبع من فيه المجرة (٥)
ولبعضهم في شكل يرمي الماء مجونا مثل الخبا وتمزقه الريح احيانا :
ومطّيب للماء ما اوتاره
لعبت به ايدى الصبا فكانها
الا افكار طرب حاذق
ايدى الصباية بالفؤاد العاشق (٦)

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ١٩٦

(٢) " " " " " " ٢٠٤

(٣) " " " " " " ٢٠٥

(٤) ثلاثه العتيان ٢٧١

(٥) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٩٢

(٦) ٣٤٠

ثم ينتقل الشاعر الى وصف تلك الشجرات الذ هبية والقضية المثقلة بالاثمار العجيبة وقد رقد
الطير على افصانها . كما مجت هذه الطيور يدورها الماء من مناقيرها فانسابت كاللجين المتغير النسيم
او خيوط نضه . كما كان صغير المياه المتدفق كالنفريد . اما قطرات الماء المتساقطة من افواهها فكانها
لؤلؤ منثور فوق زبرجد :

وبديعة الثمرات تعبر نحوها	هيناي بحر عجائب مسجورا
سجربة ذ هبية نزعت الى	سحريو ترفي النهى تائيرا
قد صبحت افصانها فكانها	قهر يمن من الفضاء طيورا
وكانها الوقع طيورا تايي لومع طيرها	ان تستقل بنهضها وتطييرا
من كل واقعة ترى منقارها	ماء كلسال اللجين نهرا
حرس تعد من الفصاح فان سدت	جعلت تغرد بالمياه صغيرا
وكانها في كل فصن نضه	لايت فارسل ضبطها مجورا
وتريك في الصهرج موقع قطرها	فوق الزبرجد لؤلؤ منثورا (١)

ويصف ابن حمد بن بركة اخرى تجرى اليها المياه من شاذوران من افواه طيور وزرافات واسود وكل
ذلك في احد القصور العظيمة . وان اختلفت كلمات هذه القصيدة عن سابقتها غير انها لا تختلف عنها
البتة في الصور والتشبيه :

والماء منه سبائك من نضه	ذاب على درجات شاذوران
وكانها سيف هناك مشطب	القه يوم الروع كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا	من دوحه نهبت من العقيان
عجبا لها تسقي الرياض بناها	نهبت من الثمرات والافهان
خصت بطائرة على نفن لها	حسنت فائرد حسنها من ثان
من الطيور الغاشحات بلاقة	رفصاحة من منطق وبيان
فاذا اتيج لها الكلام تكلمت	بخير ما نائم الهملان (٢)
اوفت على حوض لها فكانها	منها على العجب العجائب رواني
فكانها ظنت حلوة مائها	شهدا فذاقة بكل لسان
وزرافة في الجوف من انبيها	ماء يريك الجرى في الطيران
مركوزة كالريح حيث ترى لها	من طعنة الخلق انعطاف سنان

بديع الصنع شديد البرودة يجوز الماء الى موخره فيدفعه الى البحيرة ويجانبه شمال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تتال الماء المدينة كفايتها .
واليك ما فعل المامون بن ذى النون عندما شاد قصره العظيم في طليطلة فقد اتقنه الى الغاية وانفق عليه اموالا طائلة ، وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير احكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضها ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة من ماء سكب خلفه الزجاج لا يفتقر عن الجرى ، والمامون قاهد فيها لا يمس من الماء شي ولا يصله وتوقد فيها الشموع ليرى لذلك منظر بديع عجيب (١)
وقال ابو محمد المصري يعرف البركة والقبة عليها :

شمسية الانساب بديرية يحارني تشبيهها الخاطر

كانما المامون بدير الدجى وهي عليه الفلك الدائر (٢)

ولعل اجمل ما قيل في وصف البرك قول ابن حمديس الصقلي يصف بركة عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه ، وقد رىضت اسود على جوانبها تغذ المياه الصافية من افواهاها ، وكانما خير المياه المتدفقة زفير تلك الاسود الجبارة انني تتاهب للهجوم والشمس ترسل اشعتها النارية عليها فتخال الماء المنساب من افواه هذه الاسود نارا والسنها نورا او سيوف سلت ولكها طادت فذاهت بلا نار وتحولت الى مياه جارية :

وضراهم سككت هوين رياشه تركت خير الماء فيه زهيرا

فكانما غشى النصار جسومها واداب في افواهاها البلورا

اسد كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هانك مثيرا

وتذكرت فتكاتهما فكانما اقمعت على ادبارها لتورا

وتخالها والشمس تجلو لونها نارا والسنها اللواحسنورا

فكانما سلت سيوف جداول ذاهت بلا نار فعدن غديرا (٣)

ولم يختلف الشعراء في تشبيه النسيم وما يتركه على صفحة الماء من غشون وتجمد سوا كان في النهر او البرك فالصورة في نظرم واحدة :

وكانما نسج النسيم لمائه دوطا فقد رسودها تغديرا (٤)

(١) الفتح المجلد الاول الجزء الرابع ٢٨٤

(٢) " " " " ٢٨٦

(٣) " " " " الطبعة الجديدة ١٨٦

(٤) " " " " ١٨٧

الجبال والوديان

١ - الجبال

يلاحظ بشي من الدهشة ان "الجبال" رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر في الشعراء او توجي اليهم بالشئ الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم . واذا ما ذكرت فيشي من الحذر والخوف والرهبة لا تحبها اليها او تغزلا فيها . وتبدو هذه الظاهرة عند اكثر من شاعر . ولعل المناظر الخلابة للبساتين المنتشرة هنا وهناك ، والانهر المتسابة كالانهار في الوديان النضرة والمروج الخضراء ، كل ذلك شغل الشعراء عن التغزل بالجبال . وقد يحق لشاعر كابن خفاجة ان يرهب منظر الجبل وقد انتصب كالجبار في وجه المسافرين يطأ بحممه اعالي الفضاء ويقف بوجه الاغصير من كل جانب ويترحم ظلام الليل بمنكيه مرتفعا في وسط سهل مقعر كأنه مفكر وقف في ظلام الليالي الطوال يتساءل عن معاني الاشياء تاركا للنجوم والبرق ان تحيا حوله عمام سوداء بذوائب حمراء :

وارعن طماح الذوائب بانح يطاول اعنان السماء بخارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة ويترحم ليلا شبيه بالنائب

وتورط في ظلمة الغلاة كانه طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوت غايه الغيم سود عمام لها من وميض البرق حمر ذوائب (١)

ويتخيل الشاعر ان الجبل يحدثه عن اشياء حبيبة رغم صمته وسكونه فيصفى اليه في هدأة الليل وهو يقول : الا كم كنت ملجأ المجرم ووطن الهارب المتبطل من العالم نحوريه . وكم من مرة مر المسافرون امامي لا يعلمون الى ليل ام الى نهار هم سائرون اكل عوالة شاهدة عليهم وحاولت ان اردهم مع العواصف . ولكن كل هذه الكائنات ملوتها يد الموت وصحت بها رياح الفرقة والشقاء

وكم مررت من مدحج وموتوب وقال يظلي من مطي وراكب

ولاظم من نكب الرياح معاطفي وزاحم من خضر البحار غواري

فما كان الا ان علوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النوى والنواب (٢)

ويتعمق الشاعر في انطاق الجبل فيحمله على التفكير في الحياة والكائنات اذ يقول : واذا ما سمعت خفقان الروض على سفحي الهادي فاصغ الى تهديدات قلبي المتعب . واذا ما رايت المآني مني قد جفت فلا تقل انني سلوت . ولكنني نزلت دموعي على فراق احبتي .

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٧

(٢) ابن خفاجة ٢٧

فما خفق ايكي فيرجفة انساخي ولا نوح ورتي فير صوخة نادب
وما فيس السان د معي وانسا وما نزلت دموي في فراق الصواحب (١)
ويستمر الجبل في تساوله ودهشته الى متى سيطر على حاله يودع الكوكب تلوا الكوكب والى
متى سيبقى مكانه بينما يظعن الاصحاب . فيتضرع الى الله لنوال رحمته .
فحتى متى ابقي ويظعن صاحب اودع منه راحلا غير ايب
وحتى متى ارعى الكواكب ساهرا فمن طالع اخرى الليالي وغارب
فرحماك يا مولاى دموعه ضارح يمد الى تحماك راحة راقب
وكاني باين خفاجة قد وجد في هذا الجبل الصامد خير واعظ ورسول وصديق في سره اذ يقول :
فاسمعني من وعظه كل عبرة يخرجها من تجارب يترجمها عنه لسان التجارب
فلى بما ابكى وسرى بما شجسا وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلت وقد تكبت عنه لسطية سلام فانا من مقيم وذاهب (٢)
ويذكر ابن خفاجة جبلا اخر فلا يختلف رايه فيه مما رايناه في المثال السابق فهو يبرز فيه موطن
الذعر وبراء في شموخه وطموحه مقطبا عابسا رغم ضحك البدر الذي يشرق من فوقه
واشرف طماح الذوابة شامخ تتعلق بالجوزاء ليلا له خصر
وقور على مر الليالي كانما يصيح الى نجوى وفي اذنه وقر
تمهد له كل ركن ركائز فقطب اطرافا وقد ضحك البدر
ولاذ به نسر السماء كانما يحن الى وكرهه ذلك النسر
ثم يتساءل ابن خفاجة وقد رايه صمته وسكينة عن علة وقرة اسببها كبر سنه ام كبرياؤه وشموخه
فلم ادر من صمته له وسكينة اكبره سن وقرة منه ام كبر (٣)
وفي الاندلس جبال عديدة متنوعة بعضها خصب تكثر فيه الاشجار المثمرة كالنخيل والكمثرى والخوخ
واشجار الزيتون او اشجار لا تثمر تستعمل للاخشاب والبعض الآخر قاحل مجذب موحش يرمي الرهبة
في القلوب . وانه من المدهش المستغرب الا توحى هذه الجبال بشي لشعرا لنا رغم كثرتها وجمال
بعضها كما يتضح لنا من ذكر صفاتها كما وردت في مصادرنا الاولى فهناك جبال قلعة ايوب (٤)
وينحدر منها نهر عظيم في مدينة سرقسطه (٥) وفي غربي اشبيلية جبل الشرف وهو شرف البقعة كريم

(١) ابن خفاجة ٢٧

(٢) الديوان ٢٧

(٣) ديوان ابن خفاجة ٦٤

(٤) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - نشر لاني بروفينال ١٦٣٠

(٥) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - نشر لاني بروفينال ١٦٣٠

وفي الاندلس جبال ينبت فيها الزيتون المتناهي في الجودة (١) ومنها جبل زهرهون ومنه تنبجس العيون وفيه تكثر اشجار الزيتون وفيه يقول احد الشعراء وقد حاول وصف الطبيعة باشجارها الجميلة وهوائها العليل ومائها الطيب ، وورودها الحمراء الخجلى وازاهيرها الباسمة فوق الفصون ، ولمع البرق في انحاء ضاحكا ، فيبكي عذاب ميونه بعيون +

بالحسن من مكثاسة الزيتون	قد صبح عذرا الناظر المقنون
فضل الهواء وصحة الماء الذى	يجرى بها وسلامة المحزون
سحت عليها كل حين ثرة	للزمن هامة الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين اباطح	وافتر ثغر الزهر فوق غصون
جبل تضاكت البروق بجوه	فبكت عذاب ميونه بعيون
وكانما هو بربرى واند	في لوحه والتهن والزيتون (٢)

وهكذا فان ذكروا الجبال فبنى من الخوف والوجل وشي من الحذر .

٢ - الأودية

ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اشجارها ووفرة ازهارها وتعدد انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال ، وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء ولم تكن مصدر وحيم والهام ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ، ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا استلموا ان يذكروا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة ، وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة ، والذي يلفت النظر في هذه الوديان جمال اسمائها . فوادي العسل (٣) وادي نهره المسمى بهذا الاسم بساتين وجنات ، وادي الحجارة وفيه من قلة الزعفران الشي الكثير (٤) ووادي آش وقد قامت بجانبه مدينة كبيرة خطيرة تجرى حولها المياه والانهار (٥) ووادي البحر (٦) ووادي الطلح وهو منزه جميل ملتف الاشجار تكثر فيه الاطيار المفردة (٧) وهناك وديان كثيرة اخرى يضيق المقام عن ذكرها تطالع القارى

(١) الحميدى - صفة جزيرة الاندلس ١٤٢

(٢) المقرئ - الجزء الرابع طبعة بولاق ٢٩

(٣) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - ٧٢ - ٧٤

(٤) ١٩٣

(٥) ١٥٢

(٦) ١٥١

(٧) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس طبعة جديدة ١٢٣

في الكثير من المصادر الأولية يمر عليها الشعراء من الكوام فلا تثير شعورهم ولا تحرك عواطفهم .
ويتضح لي من مطالعة الادب الاندلسي ان لواءى اثر منزلة رفيعة عند اهل الاندلس
ان انه خسر بالنصيب الاوفر من الشعر ، فقد خصه اكثرهم بالوصف والمدح ، ووادى الاش هذا ويقال وادى
الاشات مدينة جليلة قد احدثت بها البساتين والانهار وقد خسر الله اهلها بالادب وحب الشعر (١)
وصف ابو الحسن بن نزار جمال ذلك الوادى بازاهيره واشجاره واندائه المطفة لهجير حرة ، والشمس
الراغبة ان تنال منه لحظة فتتمتعها الاثيا ، والنهر المنساب كالافعى الرقطة ، يتسم ابتسامة دل واغرا
لاخصان الشجر المائلة على حوافيه :

وادى الاشات يهيج وجدى كلما	اذكرت ما افضت به النعما
لله ظلك والهجير مسلط	قد بردت لفحات الاندا
والشمس ترغب ان تفوز بلحظة	منه لتطرف طرفها الاثيا
والنهر ييسم بالحباب كانه	سليخ نضته حية رقشا
فلذاك تحذره الغصون فيلها	اهدا على جنباته ايماء (٢)

وفي هذا الوادى ايضا تقول حمدة بن زياد ابياتها المشهورة فتصفه بوادى ظليل خصب
يسقيه الغيث المدرار ، كريم حنون يحنو على ضيوفه حنو المرضعات على اطفالهن ، فيسقي العطش
من مائه الزلال الذى يفوق الخمرة لذة وطعما وتصد ايكه الملتفة حرارقا الشمس عنهم وتفسح المجال
للنسيم العليل ، واذا ما مرت هذرا به ووقع بصرها على حصاء اشبه عليها الامر فتسرع الى عقد ها
تلمسه مرتاعة خشية ان يكون انفرط وانتثر امامها .

وقانا لفحة الرضا وادى	سقاء مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه نحنا عليها	حنو المرضعات على العظيم
وارشفنا على ظمأ زلالا	الذ من الدماء للنديم
يصد الشمس اثنى واجهتنا	فيحجبها وبأذن للنسيم
ترزع حصاء حاله العذارى	فتلمس جانب العقد النظيم (٣)

ولقد اختلف المؤرخون في نسبة هذه الابيات . فابيعصر يقول انها لحمدة والبعض
ينسبها الى المنازى ولكن المقرئ يميل الى نسبتها الى حمدة . ويستشهد على ذلك باقوال عدة من
مشاهير الادباء ومؤرخي الادب (٤)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٢٩٣

(٢) ٢٩٤

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٩١

(٤) ٤٩٢

وفيه تقول حمدة في مكان آخر وقد ذكرت فيه موقفا عاطفيا اثار دموعها :
 اباح الدمع اسراري بوادي له في الحسن اسرار بوادي
 فمن نهر يطوف بكل روض ومن روض يطوف بكل وادي
 ومن بين الظباء مهابة انس سبت لبي وقد سلبت نوادي
 لها لحظ ترقده لامر وذاك الامر ينعني رقادي
 اذا سدت ذوائبها عليها رأيت البدر في افق السواد
 كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالسواد (١)

وقد اثار وادي سحل او شنبل في ابن سعيد ابن حسان الشاعر فنظم فيه ابياتا جميلة وصف فيها منظره البهيح وازهاره المتنوعة وطبيعته الساكنة الهادئة . فلم يتعد في ذلك الوصف ما قاله الشعراء في الطبيعة الاندلسية .

وما شاقني الا نضارة منظر وبهجة واد للعيون تروق
 تأمل اذا املت حوز موئل ومد من الحمرا عليك شقيق
 واعلام نجد والسكنة قد طلت والمشرق الاطلى تلوح بروق
 وقد سل شنبل فرندا مؤندا نض فوق در در فيه عقيق
 واذا لم منه طيب نشر اراقة اراك فتيت المسك وهو فتيق
 ومهما يكن جفن الغمام تهست تغور اقاح في الرياض انيق (٢)

ويذكر في آخر اوراقه المسجدة التي كان يسبح فيها مع احبته بين الفصوص الخضراء والعياء الحارية تحت الانتشار الباقية يكرى الماء الزلال ومشاهد حمباء النور تلمع كأنها الدر والبلابل تشد ونور النجر والطبيعة ساحرة ترزق بشذاها الطيب ونسيمها العليل

رعى الله وادي شنبائه وتلك الغدايا وتلك اللبال
 ومسرحة بين خضر الغصون وورق العباء وسحر الظلال
 ومزمتا تحت ادواجه ومكرها في النير الزلال
 نشاهد منها كعوض الحسام اذا ما انتست فوقه كالعوالم
 والله من در حمباءه لآل واحسن بها من لآل

(١) الاحاطة الجزء الاول ٢١٥ - ٢١٦

(٢) " " " " ٢٥ - ٢٦

كخور ترنم فوق الحبال

وصح النسيم بها في اعتدال (١)

وهناك وادي الطلح ، وكثيرا ما كان المعتمد بن عباد يقصد مع جاريته الرميكية وأولي
أنسه ومسرته انتجاعا للراحة وطلبا للعافية . ولهذا الوادي في شعر نور الدين ابن سعيد في
قصيدة طويلة مطلعها :

سائل بوادى الطلح ربح الصبا هل سخرت لي من زمان الصبا (٢)

وبذكره هذا الوادى بعهد حبيب على قلبه حيث مالت الاغصان والزهور ، وشدت الطير الحانها اللطيفة المطربة :

واذكر هودى الطلح عهدنا
بجانب العطف وقد مالت الـ
والطير مازت بين الحانها
لله ما احلى وما اطيبا
أفغان والزهر بيت الصبا
وليس الا معجها مطربا (٢)

(١) الاحاطة الجزء الاول ١٤٠

(٢) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٤٢٣

670-671. " " " " " " (T)

في الطيور والحيوان والسمك

يحيى في الاندلس من الحيوانات ما يعيش في حوض البحر المتوسط وقد ذكر صاحب الفتح بعض هذه الحيوانات فقال " ويكون بالاندلس من الغزال والابل وطار الوحش وقره وغير ذلك ما لا يوجد في غيرها كثيرا . واما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة ، وغير ذلك ما يكون في اقاليم الحرارة ولها سبع يعرف بالاب اكبر بقليل من الذئب في نهاية من القعة . وقد يفتوس الرجل اذا كان جائعا . ويغال الاندلس نارهم ويهلبا ضامة الاجسام حصون للقتال لحملها الذروع وتقال السلاح والعدو في خيل البر البخوي . ولما من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض . قال ابن سعيد : عاينت من ذلك لا العجب والصافرون في البحر يخافونها لثلاث قلب المراكب فيقولون الكلم ، ولما نزع بالما من فيها يقوم في الجو اذا ارتفع مفرط (١) .

ويظهر ان اهل الاندلس كانوا ياكلون لحوم الاغنام والبقرة والدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحمير (٢) . وندم نوع من الحيوان ادى من الارنب واطيب طعما يدمى القليلة وكذلك كانوا ياكلون لحم الغزال (٣) والسمك (٤) . ويظهر ان هذه الحيوانات لم تجذب افكار الشعراء ولم توحى اليهم بالشئ الكثير مولع الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس فقد ثابروا واطنوا في ذكرها ، ولعل هذه الظاهرة ترجع الى سببين ، الاول ان ذكر الخيل في الشعر العربي كثير جدا فقد كان العربي منذ اقدم حضوره يعتز بفروسيه ويفتليها على نفسه ويخص قسا كبيرا من شعره لوصفها وذكر حاسنها وشجاعتها واخلاصها . فكان لا بد للشاعر الاندلسي وهو الذي ياثر الشاعر المشرقي في كل شي ان يثقله ايضا في وصفه الفرس وحبه بها .

اما السبب الثاني وقد مر معنا شي منه فيما سبق فهو حلة الشعر الاندلسي الوثيقة بالخلفاء والامراء والعظماء من رجال الدولة . فلقد رأينا ان الشعر الاندلسي لم يكن في اقبال الا صدى لهؤلاء الاشخاص الذين كانوا يمدون امير الدولة . فجاء الشعر معبرا عن امانتهم وقاباتهم سواء كان في مدحهم او في وصف قصورهم وحدائهم وكل ما يعت اليهم بهذه حتى ولو كان الشعر في الحيوانات التي كانوا يستخدمونها في شتى اغراضهم وهنا يجب ان لا ننسى ان تاريخ الاندلس تاريخ جهاد وتناح ، وحرب وتناح بوان الفرس هي العامل الاول الذي لعب دوره في هذا الجهاد فكان من الطبيعي وهرب الاندلس مشغولون بحبهم لوطنهم الجديد مندفعين للذود عنه وبذل كل شي لحمايته وصيانتة من كيد العدو ان يهتموا بالخيل وان يصفوا الشعراء بقصائد كثيرة وان ياتي ذكرها في شعرهم اكثر من اي حيوان آخر .

(١) الفتح المجلد الثاني الطبعة الجديدة ٦٣ - ٦٤ (٢) الفتح المجلد (٥) طبعة جديدة ٥٩

(٣) طبعة بولاق الجزء الاول ٩٤ (٤) " الجزء الاو طبعة بولاق ١٢٥

لذلك ساحتل ان اسرد امثلة وصفهم للخيال بانواعها المختلفة ببعض اشعارهم

التي تبرز فيها صفات هذه الحيوانات الجميلة المحبوبة . قال ابن خفاجة وهو يصف فرسا اشقر مخضبا بلون الدم يطرب لصوت الحسام فيندفع اني الحرب كأنه شرارة من النار فينقض على الاعداء انقضاض المواقي :

ومطيمهم شرق الاديم كأنما	الفت معاذلة النجيع خضابا
طرب اذا غنى الحسام مزق	ثوب المعجاجة جنة وذهابا
قدحت يد الهجاء منه بارقا	متلهيا يزجي القمام سحابا
ورى الخفاظ به شياطين العدى	فانقضني ليل الغبار شهابا
بسامهم شخر الحلى تحسب انسه	كأرائار بها الزاج حبابا (١)

وله في فرس اشقر ايضا بعض الابيات وهي لا تختلف في معناها عما ذكر

واشقر تنصرم منه الوقي	مرشعلة من شعل الباس
من جلتارنا ضرخده	وأذنه من ورق الامس
تطلع للفرقة في وجهه	حبابة تضحك في كاس (٢)

وقال ايضا يصف فرسا يعاني الشرى كأنه في يوم الوقي نجم من الضجوم القاذفة :

ومشرق الهادي طويل السرى	ضاني سبيب الذيل والعرف
يصرف الفارس في لهيبه	طربا به اسرع من طرف
موهبا لو كان مستعبدا	لم يعبد الله على حشر
من انجم السعد ولكن	يوم الوقي من لمة انجم القلند (٣)

اما الفرس السريع فهو اسرع من الشهاب والبرق ولا يستطيع ان يخبرك من سرعته الا الريح :

اطرف فأت طرني ام شهاب	هنا كالبرق ضربه التهباب
أغار الصبح صلحته نقابا	ففر به وضح لنا النقاب
نهبنا حث خال الصبح واني	ليطلب ما استعمار فما يعاب
اذا ما انقض كل النجم عنه	وضلت عن مسالك السحاب
فيا عجباً له نضل الذراري	فكيف ازال اريحة التراب
حل الارواح عن ادنى مداء	نعمت الريح قد يلقى الجواب (٤)

ويقول ابو الحسن بن سعيد العمري في فرس اصغر اغرا كحل الحلية

واجرد تبرى اثرت به الشرى	وللفجرني خصر الظلام وشاح
له لون ذي شقى وحسن معشوق	لذلك ليه ذله ومسراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه	ظلام وبين الناظرين صباح
يفيد طير اللحظ والوحش عندما	يطير به نحو التجاح جناح (٥)

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٦ (٢) ديوان ابن خفاجة ٧٥ (٣) ديوان ابن خفاجة ٨٦

(٤) النفر بجو: الساذ طهمة ٢٣٤٦ (٥) النفر بجو: الساذ طهمة ٢٣٤٦

وتبدو في اوصاف ابن حمديس للفرس ميزة التقليد لمعاني الشعراء القدماء فتشعر كأنك
تقرأ شعرا من امرئ القيس زهير .

ومد يد الخطي كأنك مسنه
قيد وحسن بلا ذخائر وهسن
اسبق الريح فوته فاذا ما
تضع اللبد قوي تيار سليل
وقرى معقل وحارس لليل
فتما امكت بغضلة ذيل ي
(١) وقال يصف فرسا ادهما :

وادهم ينهب عرض المدى
بعيني عقاب وشدقي غراب
كان البرق على جسمه
وتحسب غرة صبح منسبير
ويجري به كل عرق كرسيم
وارساغ جاب وساقى ظليم
مداوس تصقل منه اديم
هدت منه في وجهه ليل بهيم
(٢) وصبح التقليد هنا راضعا جليا حين يستعير ابن حمديس الفاظ امرئ القيس فيقول في فرس
ادهم كان يوثر ركه على غيره

وشخص في صهنة الليل يمتطي
يختم بماء قبيحة مسبارم
يكرنكم جسم على الارض ساقط
واسد تصبر الاسد كالبهم عندها
اطلت وقد حان الجلاء سكونها
بماجل الاساد قيد الاوابد
لما قد طفى من سنبل الهام حاصد
صرعكم روح الى الجوص صاعد
اذا ما الظباء خطت ربوع القلائد
بقولك للابطال هل من مجالد
(٣)

وقال في جواد :

ومجرى في الارض ذيل عسيبه
يجري ولمع البرق في آثاره
ويكاد يخرج سرعة من ظله
حمل الزبرجد منه جسم عقيق
من كثرة الكبوات فير غيقت
لو كان يرفب في فراق رقيق
(٤)

وقال في فرس :

وطائرة يد الخيول يسيها
اذا ثنت الفت على الغرب رجلاها
لحوق كاني جامل من اعينها
كريم تروى من نغمها سحبا لها
وقد لبست للعين من فرس خلعا
ونالت يد منها بوثتها الشرق
لرمخ القرا عقلا وحيدا له ابقا
ومن رشحا قطرا ومن لحظها برق
(٥)

- | | | | | | |
|-----|-----------------------|-----|-----|-----------------|-----|
| (١) | ديوان ابن خنجاه حمديس | ٢٥٤ | (٢) | ديوان ابن حمديس | ٢٢٥ |
| (٣) | " " " | ١١٤ | (٤) | " " " | ٢٨٨ |
| (٥) | " " " | ٢٨٨ | | | |

هذا ا هم ما جاء في وصف الفرس والى القارى نماذج مختلفة لوصف بعض الحيوانات
التي عاشت في الاندلس وقال ابن خنجاه في قصيدة قصيدة يذكر التفاهة في مفازة مظلمة بذئب ختال
غدار تقشعرا لرويته وتقذح النيران من عينيه

ومفازة لا نجم في ظلماتها	يسرى ولا فلك بها دوار
تتلهب الشعرى بها وكأنها	في كف زنجي الدجى دينار
ترى بها الشيطان فيها والربى	دولا كما يتمج الشيسار
قد لقي فيها الظلم وطاف بي	ذئب يل مع الدجى زوار
طراق سادات الديار مساور	ختال ابناء السرى غدار
يسرى وقد نضج الندى وجه الصبحا	في نيرة قد مسها اقشعرا
فتمشوت في ظلمات لم تقذح بها	الا لقلته واسي نيسار
ورفلت في خلق علي من الدجى	عقدت لها من انجم ازدار
والليل يقصر غموره ولربما	طالت ليالي الركب وهي قصار
قد شاب من طرف العجرة مفرق	فيها ومن خط الهلال عذار

(١)

وقال احدهم في صفة كلب وارنب

واطلس مل جانحنه خسوف	لا شوس مل شدقيه سلاح
يجاهرنا يطير حذار طساو	له ركن يغص به الهسراح
واحب ان تقلص ليلا ذيل ليل	احم وقد اجد به الراج
يجول بحيث يكثرون نصال	موللة وتحمله رمساح
وطورا يرتقي حدب الروابي	واونة تسيل به الهطاح
جرى ندا وللصبح التماح	بحيث جرى وللبرق التماح
فخلخله وسوره وجيساف	جرى معه وطوقه صهساح

(٢)

ووصف احدهم كلب صيد في عنقه سباح

وادهم دون حلى ظلى حالسي	كان ليلا يقلده صهساح
يطير وما له رش ولكن	مضى يهفو نارمه جناح
تكل الطير مها نازمته	وتحسده اذا مر الرياح
له الالحاظ مها جاء سلك	ومها سار فني له وشاح

(٣)

ودائمة الاتعاء في اصل خلقها
تلفت احيانا بعين كميلسة
وهرف دقيق الشعر تحسب نبتة
تنفس كبرا من يراع مستعجب
وتنفخ راسا في الزمام كأنما
اذا طلع النطح استجادت نطاحه
وقرنين اوت منبعا كل مقدة
اذا قمها بالبرزاد تسمززا
وتحسبها من نفسها ان تبخترت
وكم مشد قول امرى القيس حولها

اذا قابلت ادبارها من مقبل
وجيد على طول اللوا مظلزل
اذا الريح هزته ذوايب منسبل
فتعطي جتوا منه من اخذ شمل
ترك له في الجوفضة اجدل
براس له هاد على السحب معتسل
كروانتي باب الخبساء المقفيل
على كل خود ذات تاج مكسل
تزل على الى محل عروسا وتبخلي
اقاطم مبالا بعثر هذا التدلسل (١)

ويظهر ان الصيد كان عادة محبوبة عند الاندلسيين ولذلك نجد اوصافا كثيرة عند ابن حمديس
للمصادين وحيوانات الصيد وفي الايات التالية يصف الصقور والكلاب وقد خرج مع رفاقه للصيد +

وسامة الاحاظ للصيد قربت
بكرنا على اكادها ندرى بها
تسائل عنها السحب والترب جرة
فوارس اشد اقبلت في جواشن
وفض نرى اذ انهن لواحظا
ومرى فلا عند النتاج حديدة
دنا لنا منها جناح هويزة
اقام عليها موقد كبر سحره
رددنا بها روحا على تبر اوق
اقامت اتانبة من الدعر برهة
ولما تظلى جمرها وتجدلت

وهل نام عنا الليل وانتبه الفجر
طرائد معمورا بها البلد القفر
جوارح فوق الراح اعينها خزر
من الرقم لم تخلق لها البيفر والسر
لبن خدود وهي من هبة منبر
نتائجها منه اذا وضعت شفر
كقارة المصفر طاربع الذمر
يصلي لها حرا وقد تلم لها الصدر
يبلبله ربح وضربه قسطر
موازي لم تركب رواحها قد ر
وقعت بايدينا ذوائبها الحمر (٢)

اما في الديك على راسه تاج احمر فيمكن ان يقال فيه اكثر مما يقال في غيره من الطيور وقال الاسعد
فيه
وكان انوشروان اعلاه تاجه
وطائر حسن بالسقاة موكل
توهم مظف الصدغ لونا بخده
وناطت عليه كف مارية القرطبا
يحب قلوب الشرب يلقطها لقطا
فبك تهمك الخال يتقطه نقطا (٣)

ومفداً بين سعيد العنسي غراب اليبين مشائماً مطيراً عنه

إذا ما غراب اليبين صاح فقل له ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لانت على العشاق اتبع منظراً واكره في الابصار من ظلمة اللحد
تميح بنوح ثم تعتر ما نسبها وتبرزني سود من الحزن مسود
مضى تحت صبح اليبين وانقطع الرجاء كأنك من وشك الفراق على وعد (١)

والقمرى بشجرة الحنون ونوحه الباكي كثيراً ما ينبر دموع الشعراء العشاق أو الحزاني
فالمعتمد ابن مباد ينظم انظر الشمر وارقه يرثي ولده عندما يرى قمرية تتوح وأمامها وكرثيه
طائران يرددان نغماً ويغردان ترحة وترنما :

بكت ان راحة الفين ضممت وكسر مساءً وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحث واستراحت بهرها وما نطقت حرفاً يهيج به سر
فما لا ابكي ام القلب صخرة وكم صخرة في الارض يجري بها نهر
بكت واحداً لم يشجها غير فقده وابكي لالان عديدها كسر
بني صغير او خليل موافق يحزني ذا قبر ويغري ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما بقرطبة النكداء او رندة القهر
هذرت اذا ان من جفتي بقطرة وان لو مت نفسي فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيها معي لعلهما فلتحزن الانجم الزهر (٢)

الحشرات

الحملة :

ومن الذين اهتموا بالحشرات والموام من شعراء الاندلس ابن شهيد رابن حديد
وقد جاء في الذخيرة : قال ابو الحسن " وقد ضارب ابو عامر بن شهيد هذا محاسن الطبيعة
العالية البغدادية المضاربة التي بانث فيها قوته ولدته اختراعاته ومقدرته فصارت تناول المعنى
الحسن يميز محاسن ساقه " وقال يصف النحلة :

وطائرة تعي كان جناحها ضيق خفي لا يحدده وهم
ملازمة للروض حتى كأنما لها كل ما تفرغته الربى طعم
تج بغيرها الشهد صرنا ويغني لمشاره ما بين احشائها سهم
مناورة للانس تانس بالفسلا مفرقة للشهد من بعضها السم
فادناؤها رشدها هتك حجابها اذا احتجبت في غير ايامها ظلم (٣)

وقال في صفة البرفوث :

ونظر للنوم مسكه اذا	نام الملك ، بين اثنا الثياب
يسرى الى الاجسام يهتك عدوه	من كل جسم صيغ بالنعى حجاب
ومعزارداق الحسان وماله	كف ولكن نوه من اعدى الحراب
متحكم في كل جسم ناعس	متدلل ما بين الحاظ الكعاب
فاذا همت بزجره ولي ولا	يشيه عما قد تعود طسلا ب
وترى مواضع عنة مخضوة	بدم القلوب وما تعاوره غضاب
قرم من الليل البهيم مكسور	يضي البراز وما تواريه ثياب
هظمت رزينة ولكن قد ره	اخنى واهون من ذباب في تراب (١)

وقال ابن حمديس يصف عقربا وقد ابدع في ذلك بدقة ملاحظة ودقة تعبير وتصوير

وسرعة بالموت للطعن صعدة
مداخلة في بعضها خلق بعضها
تذيق خفي السم من وخز ابرة
وتعمل بالراحات من لم يمت لها
اذا لم يكن لون البشارة لونها
لها سورة خضت بصورة رده
وقد نصلت للطعن معني صعدة
ولم ترعين قبلها سميرسة
لها طعنة لا تستبين لناظير
نسبت بها قيسا وذكرى طعينة
يحمل منها بائع السم بغشقة
لها نقطة في الليل مؤذية بها
ونقر خفي في الشخير كانه
ومن كل قطر يتقي شرها نما
تنبى : كام الشبل قضى توفدت

فلا قرن ابق نادته يوما يجسبها
كجوشن عظم ثلثه حروبيها
اذا لست ماذا يلاقى لبيها
الى حين خاضت في حشاه كروها
فمن برقان دب فيها مشحونها
تري العين منها كل شي يريها
بشوكة عناب قليل زيبها
منظمة نظام الفوند كويها
ولا يرسل الصار فيها طيبها
وقد دق معناها وجل خطرها
نجيح قلوب في الضلوع ديبها
اذا رحت راع القلوب وجيبها
بكل مكان ينقح رقيبها
تذاب في جنح الجنة ذيبها
وقد توج اليانف منها عيبها

ومنها الى ان يقتول :

مدومع الانسان يحمر بينه فكيف يوالي رقدة يستطير بها
ولولا دفاع الله عنا بلطفه لصبت من الدنيا علينا خطوبها (١)

وقال يصف الذهب الذي يقع على الارض

ومودع في الطايا لمة حمرة فيذبح الريح تعذيبا من الحسد
ينفثي السوام مافيرا فتحبها مباضعا مديات كل مفتسم
يكحك من دمها الثاني يدا بيد حك الظريف بحناء بنان يمد (٢)

وقال في مقرب ليسفا

وذات خلق ترب الخلق صورته فكل ناظر عين ليس بالفسه
كان شوكه غاب بهفعا بها يجرع السم منه من يعادفه (٣)

(١) ديوان ابن حمديس ٣٧ - ٣٨

(٢) ديوان ابن حمديس ١١١ - ١١٢

(٣) ديوان ابن حمديس ٢٢٦

كلمة ختامية

وأخيرا لا بد من كلمة ختامية نختصر فيها ما أجملناه وأسهبنا
في شرحه في الفصول السابقة فنقول :

أولا -

تقليد الشعراء الأندلسيين الشعراء الشرقيين تقليد عامما جعلهم
في كثير من الأحيان ، بعيدين عن أن يحسوا احساسا شخصيا صادقا .

ثانيا

حملهم هذا التقليد على الاكتفاء بما نشر الشعراء الشرقيين فلم
ياتوا بالمعاني الجديدة ولم يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا
يستحق الذكر الا في بعض الموشحات .

ثالثا

لم يصف الأندلسيون الطبيعة متدفقين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم
يحشهم على حبها وتخليدها في شعرهم بل وهنوا ارضا لعظيم من
العظمة او امير من الامراء او تزلفا لاحد هؤلاء الناس .

رابعا

الطبيعة عند الشاعر الأندلسي هي في العمران والبناء والتمسك
لا في الحقل والزهور والراحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة
الريفية الساذجة للشعراء .

خامسا

فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الأندلسي يعني اكثر ما يعني
بالشكل الظاهر الخارجي ، اكثر ما يعني برج الطبيعة . قد
يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها
ولا يتعمق في تأملاته فهو يظهر دائما في اوصافه ، هائما بالحسن
والجمال ، جمال الاشكال وجمال الراسحين والازهار بعيد عن ان
يستجلي معانيها العميقة .

سادسا

ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشابه مكررة ،
متأنسة ، وفي وصف محاسن طبيعتهم . فالشعر الاحمر يذكرهم جميعا
بالدم او القم او الخدود الملاح ، والشعر الاصفى يذكرهم بالعاشق الولهان
او العطر المارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور اريج فوق الماء عن تشبيهه
بالزرد والحلق والدريع . ولا نجد وصفنا لطير الا وهو - اجع على الغصن الخضراء .

سابعاً

جمولة الشعر الاندلسي وهلملته جعلته حبيباً الى النفوس
سهلاً الى الحفظ . فلا يحتاج القارئ الى استعمال المعاجم
الا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالفسوس والاسد . وهنا
يبدو الشعراء الاندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً

في الشعر الاندلسي سطحية في المعاني وتوضيحية في الالفاظ . فالشعراء
الاندلسيون لم يتوسلوا على المعاني بصناديقها من الاعماق كما
كان يفعل شعراء المشاركة بل تنازلوها سائلة ، فربما المتناول .
واهتموا بذكر زينة الالفاظ وتجميلها وترتيبها يسدون بها نقصهم .

ولعل في تعداد هذه الزايا ، منزلة منزلة ، نكون قد وضعنا
امام القارئ ملخصاً للشعر الاندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو
امام الباحثين والدراسيين . ولست ادعي الاحاطة بالموضوع من
جميع اطرافه ونقاطه ولكني اعترف بنقصي بذلت جهداً كبيراً
للوصول الى كل ما يجب وما يمكن الوصول اليه لدراسة هذا الموضوع .
وان خيراً ما أختتم به رسالتي : تلك العناد الاصماني الذي استطاع ان
يصتور بها تصوراً دقيقاً ، ما يخالف نفس المؤلف بعد ان يكتب ما يكتب ، من
قلق روحي يدفعه دائماً الى حذف شيء او زيادة شيء آخر ما اشعر به انا
بعد كتابة ما تقدم ونعمر به كل كاتب على ما ارجح . قال العناد :
(انني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده :
لو غير هذا كان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم ههنا لكان
افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل) وهذا من اعظم المعبر وهو دليل على
استيلاء النقص على جملة البشر)

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وشي من الايجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه والعوامل التي ساعدت على ذلك والثورة الاجتماعية التي تمخض عنها الفتح العربي واثرها الفعال في نفوس شعراء الاندلس وتلون شعرهم بلون خاص .

قال الاتدلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة ولكنهم ابدعوا وبرعوا بصفة خاصة في ذكر بلادهم الجميلة ووصف محاسنها ومفاتيحها . وحق لهم ذلك فقد اصبحت الاندلس في ايام استتب فيها الامن على يد الغلب الفاتحين جنة الله في ارضه فتعددت خيراتها ودنت قطوفها . واصبحت هذه الطبيعة الحلوة وهذه البساتين المشرقة وهذه الجنات التي لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء شغل الشعراء الشاغل . منهم اذا ما مدحوا شبهوا بمدوحهم بالروضة الغناء يهب فيها النسيم العليل .

واذا ما تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيوناً ومن الاس اصدافاً ومن السفرجل نهوداً ، ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضاباً بل اكثروا من تشبيه الحبيب بانواع الرياحين والرياح والبساتين وربما غالوا في ذلك حتى جعلوا من محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان .

وتثير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى وتحرك لواعجه ويرى الهوى في طلوع النجوم والنس في هبوب النسيم . والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب بل غصن بان يرفل في وشاح .

وكانوا اذا رثوا صوروا الروض مثبياً على المرثى ، كما تجرى جداول الماء على الخدود حزناً عليه ويهتز الناس هزة الاغصان بكاءً على المصاب وقد بكى الشاعر بحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان تؤاسيه وان تهطل السحب دموعاً .

وهكذا نرى ان الطبيعة عند الاندلسي تتقبل جميع الصور وتتقمص جميع الاشكال . ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرته لم تتنوع صورته ولم تتعدد مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيراً بعضهم عن بعض في انواع الاستعارات والتشبيهات فالمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قصائد لشعراء مختلفين بالفاظ مختلفة واحدة وتعابير واحدة . ان لم يكن الشاعر الاندلسي وهو يصف الرياض والبساتين الا كالرسام البار الذي توفرت لديه المناظر البهجة ولكنه على توفرها وجمال الوانها لم يستطع ان ينقلها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن الا ان يسكب فيها روحاً من روحه او ان يلونها

بريشة مغموسة بدم قلبه بل كان شاعرا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه يهيم بجمالها ويتمتع بسحرها ثم يقف امام مذياع لينقل الى الناس مشاهداته ومغامراته ومما تركته الطبيعة في نفسه من اثر وشعور يصدران عن الحس والمشاهدة فكان الشاعر يقرأ من سفر الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل . ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر وزخرت لغته بالاسماء والافصاف لمشتى مظاهر الطبيعة واثارها وحالاتها واوقاتها فما كان منه الا ان ينقلها اليها بقالب شعري لطيف . ولهذا نرى ان هذا الشعر اتم بالفتور واصطبغ بالصنعة وهيمنت عليه مسحة التكلف والتطرف ولعل ذلك يرجع الى ان شاعرنا لم يخرج الى الطبيعة يتأملها لاجلها وحدها ويستجلي محاسنها وان يحاول النفاذ الى معانيها واستكشاف اسرارها وغوامضها بل كانت هنالك دوافع عديدة خارجية تدفعه الى وصفها والتغني بمحاسنها اهمها :

- (١) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عطايا الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هولا الملوك لآرهم الخاصة والعامة فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب اميره في مدحه وصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الغرائب والنفائس .
- (٢) منافسة الشعراء ومناظرتهم بعضهم بعضا في وصف الرياض والرياحين والبساتين حبا بالمنافسة والمناظرة لا ميلا الى الطبيعة والتغني بها .
- (٣) كثيرا ما كانت هذه الاوصاف ترتجل ارتجالا دون ان يفكر الشاعر تفكيرا عميقا فيأتي بمعاني مبتكرة جديدة .

فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصبغة التصنع والتكلف فجاء في اكثره متشابه الصور والالفاظ سطحي المعاني بادي الكلفة والتزويق . وقد قسمت شعر الطبيعة في الاندلس الى فصول وهي :

(١) الماء (٢) الخضراء (٣) الجبال والادوية (٤) الطير والحيوان والمسام

الماء :

تناولت في فصل الماء الجداول والغدران والبحيرات والبحار والاحواز والنواعير . وما يلفت النظر في هذا الباب ان الشعراء اكثروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية ، فالنساء وما تتركه فوق المياه من غصون وتجايد شبهوها بالدروع كما اكثروا من تشبيه الانهار بالمهند المصقول في حال عدم مرور النسيم فوقه وخلاصة القول ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف لم يتجاوزوا الشكل فانهم لم ينفذوا الى اسرار البحار والانهار يرسمونها ويضفون عليها ألوان الفن كما فعلوا في غيرها من ألوان الطبيعة كما ان تشبيهاتهم للمياه كانت فحوصرة جدا فلم تتعد تشبيه المياه بالدروع والسيوف والحلق والزرد والاراقم والمجرة والبلور المجلي كما حصروا تشبيه صوت المياه ^{دفورها} بزئير الاسود وغناء الطيور .

تبسط في هذا الفصل بصورة خاصة لكثرة ما قيل فيه من الشعر ويحتوى على
الرياض والحدائق وورودها ورياحينها وغياس فاكهتها وسواها . فتكلمت عن وصف الشاعر لهذه الرياض
وحبه لها في جميع حالاتها ووصفه لاثمارها وازهارها ثمرة ثمرة زهرة ثم تطرقت الى المنتزهات
العديدة المنتشرة في الاندلس وما للخلفاء والعظماء ورجال الدولة من فضل في تحسينها وتحملها
وتشجيع الناس على ورودها والنظم فيها .

٣ - الجبال والادوية

يلاحظ بشي من الدهشة ان " الجبال " رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر
في الشعراء او توحى اليهم بالشئ الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم ، واذا ما
ذكرت فبشي من الحذر والخوف والرعب لا تحببا اليها او تغزلا فيها .
ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اثمارها ووفرة ازهارها وتعدد
انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال . وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء ولم تكن
مصدر وحيهم والهامهم ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا
استطاعوا ان يذكروا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة .

٤ - الطيور والحيوان والهوام

ان هذه الطيور وهذه الحيوانات والحشرات لم تجذب افكار الشعراء ولم توح
اليهم بالشئ الكثير ولعل الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس . ولعل تاجر
الشاعر الاندلسي بالشاعر المشرقي هو الذي جعله يميل الى الفرس وان يقلده في وصفه الفرس
وحبه لها . حاول الشعراء في هذا الباب تقليد شعراء المشرق فلم ينجحوا كثيرا .
وارى من الخير ان اختصر واحمل ما اسهبت في شرحه في سائر فصول الرسالة
بكلمة ختامية فاقول :

اولا - لقد شعراء الاندلس شعراء المشرق تقليدا عاما جعلهم في كثير من الاحيان بعيدين

عن ان يحسوا احساسا شخصيا صادقا .

ثانيا - حملهم هذا التقليد على الاكتفاء بمآثر الشعراء المشرقين فلم يأتوا بالمعاني الجديدة ولم
يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا يستحق الذكر الا في بعض الموشحات

ثالثا - لم يصف الاندلسيون الطبيعة مندفعين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم يحثهم على حبها
وتخليدها في شعرهم بل وصفوها ارضا لعظيم من العظماء او امير من الامراء او
تزلقا لأحد هؤلاء الناس .

رابعاً - الطبيعة عند الشاعر الاندلسي هي في العمران والبناء والفن لا في الحقل والزهور والرياحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة الريفية الساذجة للشعراء .

خامساً - فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الاندلسي يعنى اكثر ما يعنى بالشكل الظاهر الخارجي اكثر ما يعنى بروح الطبيعة . قد يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها ولا يتعمق في تأملاته فهو يظهر دائما في اوصافه ، هائلا بالحسن والجمال ، جمال الاشكال وجمال الرياحين والازهار بعيدا عن ان يستجلي معانيها العميقة .

سادساً - ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشابه مكررة " متماثلة في وصف محاسن طبيعتهم . فاللون الاحمر يذكرهم جميعا بالدم او الفم او الخدود الملاح ، واللون الاصفر يذكرهم بالعاشق الولهان او المريض المفارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور الريح فوق الماء عن تشبيهه بالزرد والحلق والدروع . ولا نجد وصفا لطير الا وهو ساجع على الغصون الخضراء .

سابعاً - سهولة الشعر الاندلسي وهلهلته جعلته محببا الى النفوس سهلا الى الحفظ . فلا يحتاج القارئ الى استعمال المعاجم الا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالفرس والاسد . وهنا يبدو الشعراء الاندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً - في الشعر الاندلسي سطحية في المعاني وتوشية في الالفاظ . فالشعراء الاندلسيون لم يغوصوا على المعاني يضادوها من الاعماق كما كان يفعل شعراء المشاركة بل تناولوها سهلة قريبة المتناول . واهتموا بزخرفة الالفاظ وتنميقها وتزيينها يسدون بها تقصيرهم .

ولعل في تعداد هذه المزايا ، مزية مزية ، نكون قد وضعنا امام القارئ ملخصا للشعر الاندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو امام الباحثين والدراسيين .